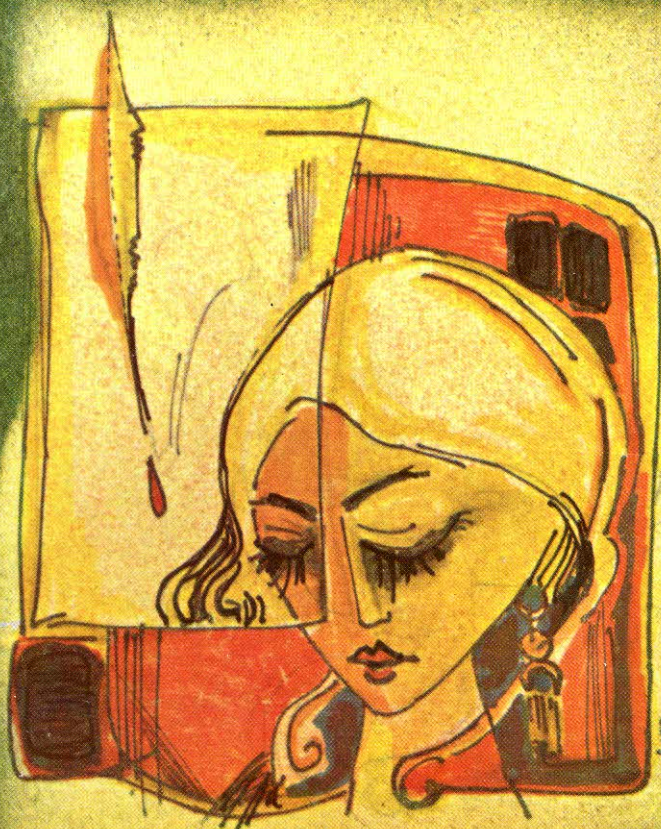


إسماعيل فهد إسماعيل

الضفاف الأخرى



ebooks4arabs.blogspot.com

دار العودة - بيروت

الصفاف الاخرى
رواية
اسماعيل فهد

اسماعيل فهد اسماعيل

الضفاف الأخرى

رواية

ebooks4arabs.blogspot.com

دار الفؤاد - بيروت

حقوق الطبع محفوظة

١٩٧٣

الاهداء :

الى .. محسن براك

اسماعيل

الفلاف : سبيكة الحشاش

كلمة ..

- « كانت السماء زرقاء » • « المستنقعات الضوئية » •
- « الجبل » • روايات قصيرة ثلاث •
- « الضفاف الاخرى » محاولة لمتابعة بعض شخوص
- الروايات الثلاث السابقة ضمن خط زمني واحد متطور •
- ضيف الحدث : « كريم البصري » ... مستوحى الى
- حد ما من شخصية « كريم الناصري بطل رواية « الوشم »
- للكاتب العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي •

المؤلف

العمل ، العمال ، المصنع ، مشارف المدينة ، السياج ،
الآلات . الضجيج ، ١٢٠٠ عامل ، ساعات العمل . ظروف
العمل . الاجور .

احمد عبدالله ... عامل فني .

جعفر علي ... عامل فني .

ارتفاع الاسعار . غلاء المعيشة .

- وعندما استلقي على فراشي ينز التعب من جميع

مسامات جسدي .

انا عاجز - حتى - عن مضاجعة زوجتي .

- انا لم اتزوج بعد . الزواج يحتاج الى مال، والمال ..

ساعات العمل . غلاء المعيشة . ارتفاع الاسعار .

- العيد على الابواب . حاولت الاستدانة . انت بحاجة

الى ثوب جديد !

- ثوب العيد الماضي ما يزال صالحا .

كاظم عبيد .. عامل فني .

- ظروف العمل في الكويت افضل . رغم ...
- الارباح التي يحققها المصنع تكاد .. واجورنا لا ..
- ايام كنت احترف السرقة ...
- كريم البصري ... امين مخزن .
- مساعد مدير . استحداث وظيفة . الاضراب .
- الاسماء . قائمة جديدة . فاطمة .
- اجمل منها ؟ .. لا .
- تساقطهم الذليل امامي ...
- فاطمة ... السكرتيرة .
- ابنك . الليل . الغياب . الشوق . الفراش . العمل .
- العمال . المدير .
- لا بد من احتفال صغير بالمناسبة !
- ظروف عملي ...
- ١٢٠٠ عامل . التدابير الرادعة . سري . فورا .
- سريع . مشارف المدينة . الآلات . الصخب . الاجور ..
- قدمنا التماسا الى المدير . المدير الى المديرية .
- المديرية الى الرفض .

★ ★ ★

الزائر ... مطلوب فراش .

ebooks4arabs.blogspot.com

فاطمة ..
اليوم الأول

في الباص ، والناس ، والهواء المشبع بنداوة الربيع ،
والعيون عندما تسقط على الوجه وتستقر تخلق تأخيا يتوق
الى تواصل معين .

« - مشيرة انت دونما حاجة للرتوش ... »
« هذه الالوان تذهب بجاذبيتك ... انت مشيرة
دونما ... »

كلماتك تنحتني من الداخل .. تاكلني من الداخل ،
وعيون ابنك تبحث عنك في وجهي .
انا احبك ... انا بحاجة اليك . بامس ال ...
لا بأس ، فالدموع لن تفسد المكياج ما دام الاخير
معدوما ، وانت في العدم . لافترض بانك العدم ... وابنك
الذي ...

الدموع تجف ان لم تغادر الجفنين ، والباص حينما
يقف فالعينان تشدان الى امام . ثم الشارع . الساعة -
كنت تكره وضعها في معصمك - هي الثامنة ، وتكره ان
تغادر الفراش في الثامنة ، لكنهم بدأوا العمل منذ ساعتين .

★ ★ ★

جدران المصنع ... وعند البوابة الرئيسية بدلة
زرقاء .

احمد ... عامل في المصنع . نظيف . اسمر .
وسيم ...

لو انني منذ بداية البداية التقيت بانسان مثل احمد
... اما كان بالامكان ...

واحمد ينظر اليها باكبار يبعث الثقة بدواخلها المتعبة ،
فتتسع الابتسامة .

- صباح الخير .

- صباح الـ ...

ورقة مطوية تمتد بها يد احمد . اصابعها تلامس
اصابعه . الثقة . ثم الاصوات .

الصخب . العمال . الآلات . الرائحة . الدهاليز .
باب الغرفة . الهدوء . الورقة المطوية . الورقة مفتوحة ..
اخواننا العمال ...

الاجور ... الظروف الاحسن ... الديمقراطية ..
العمل ..

... الاجور ... غلاء المعيشة ... مطالبنا او
الاضراب ..
الورقة - ثانية - مطوية . حقية اليد .

★ ★ ★

(١) ... ثوبها بلون السماء . عيناها اطمئنان . في
الماضي .. هي احدى شخصيات رواية « كانت السماء
زرقاء »

اسمها الحالي « فاطمة » بدلا من لقبها السابق « ذات
الثوب الازرق » .

مطالبهم أو الاضراب !

وأنت في العدم . هذا الغياب الحقير الذي يتمثل
بسنوات أربع .. أليس عدما ؟!

وانا الغيبة التي كانت ولا زالت تنتظر خبرا .. رسالة
.. بطاقة بريد .. وأحيانا أنام ، وأحلم بك عائدا .
وما كنت أستطيع النوم الا ووسادتي كتفك . لو أدري
أين أنت على الأقل ؟! .. البعض يقول :

- هاجر الى كندا ..

وآخرون :

- الى قبرص ...

وأنت :

- في العدم ...

★ ★ ★

كل شيء كان عاديا قبل لقائي بك . أنا معلمة ، أعيش مع الأطفال ، بين الأطفال . لي تطلعاتي الصغيرة وآمالي بزواج طيب وبيت متواضع ، وفجأة دخلت حياتي تزعزعت حياتي ، وبدأت عيناى تتفتحان على وجود جديد .
أسلمت قيادي اليك . كنت أشبه بمتطفلة على عوالمك الرحيبة ، منسلخة عن عوالمى الضيقة .

وأذكر أول ما أذكر اضراب طلبة الجامعة . أنت ما كنت طالبا ، لكنك كنت تتحرك كمثلى بندول . بدأت أخاف عليك .

— لماذا هكذا ؟!

— المشاغل الفردية تنمحي فى مشاغل المجموع ..

— ولكن ...

— المواجهة الفعلية تخلق الوعي .

وقتها لم أستوعب المعنى ، أما وبعدهما هربت من مواجهة كل شيء ..

هربت من مشاغلنا ومشاغل المجموع ...

وبالرغم من كل تناقضاتك فكلماتك ..

— لا يتخلق الفرد بصورة جيدة الا من خلال التنظيم .

أهى محاولة لتبرير عجزك ؟!

— لم أدخل التنظيم بعد .

أم هى هرب من المسؤولين ؟!

★ ★ ★

مطالبهم أو الاضراب !

أنا الان لا انتمى لتنظيم فهل

والآخرون ... العمال ، أحمد عبدالله ، وفي الجانب
الثاني ...

- صباح الخير ... كيف حالك اليوم؟! .. أنت
تجهدين نفسك في العمل ...

- أنا أقوم بواجبي .

- أنت تبذلين جهدا كبيرا ... أنا رفعت كتاب توصية
الى المديرية العامة بضرورة استحداث علاوة طبيعة عمل لك
انت بالذات .

لكنني مع المدير اتعامل بشخصيتين . هو ... لا يرى
في سكرتيرته الخاصة فقط! .. وكل الذي وصل اليه ..
انه يجسر أحيانا فيضع يده على كتفي ...

- لا بد من احتفال صغير .. اذا وصلت الموافقة على
العلاوة !

المكان : غرفة السكرتيرة
 الحالة : مشروع توظيف
 المرفقات : ملف
 الاشخاص :

١ - فاطمة

٢ - الزاير ٠٠٠ (١)

يفتح الباب بهدوء . يدخل رأسه . فاطمة مكبة
 على المكتب . يدخل باحتراس . يقف في منتصف
 الغرفة . فاطمة ما زالت مشغولة .
 الزاير : « مرحبا يا بنت » .
 تستفز . ترفع وجهها اليه .
 فاطمة : نعم !

يتلعثم . يمد يده باللف .

فاطمة : ما هذا ؟!

الزائر : أنا .. أنا ... رئيس السجنين .

رد الفعل . الدهشة . الملف يرتجف .

فاطمة : أنت ماذا ؟!

الزائر : « عفوا » ... أقصد ... أنا ... أنا رئيس
الفراشين .

الدهشة أقل ، مصحوبة بضيق غاضب .

فاطمة : أنت ماذا ؟!

الزائر : « عفوا » ... أقصد أنا طالب وظيفة الفراش .
المدير قال لي : « اذهب باللف الى السكرتيرة ،
وستولى هي الأمر » .

التحيرة على وجهه . في الخمسين وعلى وجهه تعابير
طفل حائر . تبسم لأول مرة .

فاطمة : اجلس .

يتردد . يتلفت . يجلس . وفي عينيها التماع
حنون .

« يهمهم » الزائر : لا حول ولا ...

فاطمة : ولماذا قلت .. « أنا رئيس سجنين ؟! »

اصابعها تتصفح الملف .

الزائر : لعن الله خطأ اللسان ! .. هي وظيفتي السابقة .
الاطمئنان يتصاعد الى وجهه . فاطمة تدقق النظر

في الملف . تقرأ :

فاطمة : الوظيفة السابقة رئيس سجنين .

ترفع وجهها اليه .

فاطمة : من رئيس سجانين الى فراش !!
الزائر : المهم ان أعيش !.. انا تركت وظيفة رئيس سجانين
... أعني .. فصلوني منها .

تعود تتصفح الملف .

فاطمة : أوراقك ناقصة !.. أين شهادة عدم المحكومية ؟
ينهض . يده الى جيبه .. يخرج ورقة . يقترب .
يمدها . يظل واقفا . الورقة في يدها . تعقد
حاجبها . ثم تعود تبتسم . تتسع الابتسامة .
تتحول الى ضحكة جذلة قصيرة .

فاطمة : هذه الورقة تثبت بأنك كنت سجيناً !!
الزائر : سجنوني لاني ضربت مدير السجن .
الضحكة أكبر . الزائر يقترب أكثر . نصفه الأعلى
الى امام . يستعين بيديه موضحا .

الزائر : « عفوا » ... أعني .. مدير السجن اراد ان
يضرب أحد المساجين فضرمني .
الضحكة كركرة منطلقة .

فاطمة : ماذا ؟!

طرقات مرنة على الباب .

★ ★ ★

(١) الزائر ... طويل كعملاق . ليس بديننا . نصفه
الأعلى ينحني الى امام قليلا ، وكأنه يهم يهمس .
صوته عميق . خشن . يصدر من أسفل حنجرتة .

كان واحدا من شخوص رواية «المستنفعات الضوئية»

• وظيفته السابقة رئيس سجانين

أمي ، أو يكاد ، لكن سنوات خدمته الطويلة – في

السجن – واخلاصه في العمل ، وتفانيه ، كل ذلك

• أوصله الى منصب رئيس سجانين

• فصل من عمله قبل سبعة أشهر

• لتقّب بالزائر كنوع من التعويض عن لقبه السابق

« - الجدوى أولا ، القرار ثانيا »

قال ذلك واختفى .

« أعطيني توازنا ، أعطك حقيقة »

قال ذلك واختفى .

وانا امرأة . مجرد امرأة شرقية ضعيفة اتعبها جسدها .
السهل أن تطلق شعاراتك في وجهي وتطالبني بالمستحيل .

لماذا تفترض بي أن أكون كما أنت ؟!

أنا أبكي . أبكي وجودي . أبكي حبي . ضياعي . ورغم
كل هذا عليّ أن ابتسم .
والحب ؟! ... كنت تقول :

« - التفاهم أولا ، الحب ثانيا »

وكنت أهواك . أعبدك . أذوب فيك . وانت لا تدري
ولا تشعر . فضاع الحب ، وأخذت فهمك واختفيت ، مخلفا
لي ابنك الذي يذكرني بك وبواقعي .

وليته كان ابننا ، اذن لهان الأمر ، لكنه ابنك فقط .
لتحترق أنت .. أو بالأحرى لأحترق أنا ، وليبق ابنك
شاهدا ... شاهدا ... ولكن .. على ماذا ؟!

الأرض كالحة ، ودورانها حقيقة .

السماء والبحر أزرقان .

الاضراب مغامرة غير مأمونة العواقب ، لكن الجوع
والعوز أزرقان .

لست جائعة ، ولا معوزة، ولا ابنك ، لكنه «الآخرون»،
والجحيم هي أنت .

المكان : الغرفة ذاتها
 الحالة : حوار هامس
 الاشخاص :

- ١ - فاطمة
- ٢ - الزاير
- ٣ - كريم البصري . . . (١)

كريم البصري يطل برأسه من شق الباب .
 الابتسامة الواسعة . العينان تجولان
 الغرفة بسرعة . الابتسامة تفقد ودها عند
 وجه الزاير . ثم تنتقل العينان الى فاطمة .

كريم البصري : صباح الخير .
 فاطمة : اهلا . . . تفضل .
 الزاير : . . .

يتسع شق الباب . خطوات مرنة . كريم
البصري يدور الى ما وراء كرسي فاطمة .
ينحني عليها . يقرب فمه من أذنها .
يهمس .

فاطمة : أعرف هذا .. أحمد أعطاني ورقة .
كريم البصري يهمس ثانية . دهشة رافضة
ترسم على وجه فاطمة .

فاطمة : كيف وصله الخبر؟!
لم تخفض من صوتها :
— الأمر لا يخلو من خيانة ! .. انظر الى
هذا الملف !
الاهتمام على وجه الزاير . رقبتة تنمط
الى امام .
الاثنان يتفحصان الملف .

فاطمة : الآن أدركت سبب التوظيف الاستثنائي !
التلفون الداخلي يرن . الهمس ينقطع .

فاطمة : نعم ! .. صباح الخير .
تضع كفها بين فمها والتلفون . تهمس :
— المدير !
ترفع كفها .

— نعم .. الملف عندي .. حاضر ..
حاضر ..

تضع السماعة . تلتفت الى الزاير .
— تم تعيينك قراشا للإدارة . ابدأ عملك
منذ الآن .
صوت الزاير لا يخلو من فرحة حائرة :

– أين ؟

فاطمة : الأفضل أن « تتواجد » عند باب غرفة المدير .

الزائر يستدير . يخطو .

كريم البصري ساخرا : خذ معك سلاحا !

الزائر يلتفت . يتبادل مع كريم البصري نظرات مستوفزة .

فاطمة : احترس !

واستطردت بصوت هامس :

– هو رئيس سجانين !!

★ ★ ★

(١) كريم البصري ... ممتلئ قليلا . متوسط الطول .

وسيم . عيناه لا تخالوان من توقع .

سجين سياسي سابق . يعمل في الصحافة الى جانب

عمله .. أمين مخزن المصنع .

ebooks4arabs.blogspot.com

..... وكريم البصري الذي
يحاول أن يبدأ معي ، لست أدري علام يصر - مع نفسه -
على ضرورة اقامة علاقة معينة بيني وبينه ؟!

هو - في احيان كثيرة - يتكلم مثلك .
الاخلاق . التنظيم . الفرد . العمل . المسؤولية .
ال ... ال ...

متأدب حتى في أدبه . رقيق حتى في رفته ، لكنني اضيق
به . عيناه على وجهي أحسهما ثقيلتين .
لو انه لا يحاول أن يكون انت !! .. وانت ...

★ ★ ★

في الليل ، وابتك ينام غير بعيد عني ، وباب الغرفة
موصد . الجو خائق في الداخل ، لكنني - كما عهدتني -
اخاف الظلام . اخاف الليل . اخاف الوحدة .

وبخطوة متعمدة منك تركت لي بعضك . تركت لي ابنك
من أجل ان يملك عندي ..

وأقول باقتناع يتراوح بين الجدوى وعدمها :
حتى يعود أبوه !

ولو انه عاد لولدت تحت لمسات أصابعه عذراء حيية !
وابنك ... أنت عودته على النوم عند الساعة التاسعة .
البارحة وقبل موعد نومه سألني بصوته الذي يجيد جعله
بريئا ، حنونا ، صادقا ، لو أراد :

- «متى يعود بابا» ؟

وقتها كنت أعيد ترتيب بعض ثيابي . أتذكر ثوبي
الأخضر ؟! .. لقد استطاع هذا الثوب ان ينتزع دمعة صامته
من عيني ، وسمعت ابنك يلقيني في خضم متاهة :

- « متى يعود بابا » ؟!

لا أدري علام أحسه يفهمني بعض الأحيان ، وفي أحيان
أخرى أشعر بتألف غريب معه ، وكأننا .. أنا وهو ضحيتك
انت .

- « متى ... بابا » ؟!

ما كان في متناول يدي لكي آخذه الى صدري .

- لا أدري !

- أين ذهب ؟!

المتاهة اكبر .

- لا أدري !

- ومتى نذهب لزيارة أمي واختي ؟

-

وكان ان أغفلت موعد نومه ، وعندما تنبعت الى ذلك ،
جدجته بنظرة غاضبة ، ضحك بخبث ، وأسرع الى سريره .
لابن ينشأ على ما كان ...

ماذا لو يطرق الباب الآن !.. لو ... من أجل ابنك ..
لا من أجلي انا !!



كل شيء كان عاديا قبل لقائي بك . أنا معلمة . أعيش
مع الأطفال . بين الأطفال . لي تطلعاتي الصغيرة ، وآمالي
بزوج طيب ، وببيت متواضع ، وانجاب ، وفجأة دخلت
حياتي . ترعزعت حياتي ، وبدأت عيناى تتفتحان على وجود
جديد .

واذكر أول لقاء لي بك في منزلك عبر علاقة القرابة
البعيدة التي تربطنا .

كنت وأختي التي تكبرني وزوجتك التي احتفت
بقدمونا ، فتفرغت لأعمال المطبخ . ابنتك التي تحبو ملأت
عيني بوجهها الذي يحمل وجه أمها . بدأت أعابثها ، وعيناك
تتابعانا بارتياح فرح . ما كنت قد اقتربت منك عن كثب .
وفجأة اكتشفت وجود مكتبة في المنزل . فما عادت ابنتك ..
توجهت بكلي الى المكتبة . قصص . روايات .
دواوين شعر . فلسفة . سياسة ...

- سأستعير هذا ، وهذا ، وهذا ، و ...
كنت أشبه بالمأخوذة أمام طوفان الكتب .
- ما هذه ؟

وبين يدي مجموعة كراسات . تبسم .
- هي مخطوطاتي .
- مخطوطاتك ؟!
- قصص كتبتها .

- أنت تكتب قصصا ؟!

-

واختليت بكراساتك . حل موعد الطعام وأنا مختلية .
وبعد الغداء مختلية .

- متى ستنتهين ؟!

عالم غريبة . ناس غرباء . أسلوب غريب .

- هل أعجبتك ؟

- لا أدري !

-

- ولكن ... لماذا تكتب عن هؤلاء الناس بالذات ؟! ..

لصوص ! .. قتلة ! .. شواذ !

تسع ابتسامتك ولا تجيب .

- لا أكذبك القول ، أنا أحبيت ابطال قصصك رغم

كونهم قتلة ، ولصوصا .

-

- ألا تعرف لماذا ؟

- لاني اهدف الى ادانة واقعهم من خلال استبطاني

لهم .

لم أفهم ما عنيته بالضبط ، ولم أسألك تفسيراً .
كرهت الظهور أمامك بمظهر الغبية ، ثم افترقنا وبني نقمة
صغيرة .

★ ★ ★

بعد اسبوع فقط قالت لي أختي :

- هل سمعت بالخبر ؟

- أي خبر؟!

يدها بالمشط في شعرها ، وبلا مبالاة أطلعتني على خبر
انفصالك عن زوجتك .

لم أندesh . لست أدري علام لم تملكني دهشة .
أحسست وكأنني أعرف الخبر قبلها .

- هنا متوقع .

فتسألني ببرود :

- لماذا؟!

- قصصه تدل عليه .

زوجتك طيبة . أطفالك حلوين . وكبرت النعمة في
داخلي .

- هو سخيف ..! أرعن ..! متهور !

★ ★ ★

وفي اليوم التالي التقيتك صدفة ، فانشلت قدرتي
على التفكير ، تبدل الشعور بالنعمة الى احساس بالمسؤولية .
رأيتك منهارا حد الهذيان ، ضائعا حد الهرب .

- ما بك؟!

- لا شيء .

- لماذا طلقت زوجتك؟!

تضع عينيك في عيني . الألوان تنطمس في عينيك .
تضيع . تهرب بهما الى ما وراء كتفي . تتمم وكأنك تلقي
ثقلا عن كاهلك :

- لأنني أحبك .

أشبه بصفعة مدوية تسقط على وجهي . الأرض تدور .
عمدة النور تدور . أبواب السيارات صراخ .

- تحبني انا ؟!

-

- لماذا ؟! .. كيف ؟! .. منذ متى ؟!

-

- وزوجتك ؟!

- طلقته .

- واطفالك ؟!

- تركتهم لها .

- والآن ؟!

- ساسافر غدا .

- ماذا حدث له ؟! .. ما به ؟ .

- الى اين ؟

- الى ايران .

- لماذا ايران ؟!

- لكيلا أعود .

- وما الدافع و ...

- فتقاطعني :

- لأنني احبك .

- لكنني أتجاهل الرد .

- وعملك ؟

- تركته .

★ ★ ★

الليل . المجهول . أنت . المغامرة . المسؤولية . وبدا
احساسي بمسؤوليتي عنك يتجسد في ذاتي شيئاً فشيئاً .
كيف استطاع ان يحبني بهذا العنف دون ان احس ؟!

مجنون ! .. يطلق زوجته . ثم يتخذ قراره بالهرب ، لا لشيء
غير كونه يائسا من حبي له .

- أنا احبك . حبك هو السبب .

- ان كان حبي فعلام تهرب ؟!

- ليس لدي ما احرص عليه .

- وانا ؟!

- ...

الليل . المجهول . انت . المغامرة . المسؤولية . وبدأ
شعوري بمسؤوليتي عنك يتجسد في ذاتي شيئا فشيئا .
علي ان استبقيه بأي شكل من الاشكال !
هو لا يعي ما يفعل !

لا بد من رفع فكرة الهرب الى ايران من رأسه ! .. لا
بد من اقناعه ! ..

لا بد من .. لا بد .. لا ..

كنا في الطريق ، وازقة البصرة تكاد تخلو من المارة رغم
كوننا في اول الليل .

- والآن ؟!

- انا ذاهب .

- ابق معي ساعة واحدة !

- آسف .

- ابغي التحدث معك !

- لا وقت لدي .

- ستبقى ، ولو لفترة قصيرة !

شعوري بمسؤوليتي عنك . وضعك النفسي المتردي .
كنا قريين من سينما الرافدين .

- تعال !
- لن ادخل .
- ستدخل !

... من يدك . وتحت ضغط اصابعي انقذت الي . وهناك
... شارلي شابلي ، وظلام الصالة ، والهمس :

- لماذا تهرب الى ايران ؟!
- لاني هارب من حبك .
- وانا مجرد امرأة شرقية .
- وكيف عرفت بانني ارفض حبك ؟!
- ...

- ان كنت تحبني ابق من اجلي !
- لا تربطي مصيرك بمصير انسان مجنون .
- اصابعك . الليل . المجهول . ظلام الصالة .
- مسؤوليتي ، وانا التي بدا وجودها يتجسد بك .

- ابق من اجلي !
- انت مجنونة !
- ومن فينا العاقل ؟!

- اصابعك . كفك . ذراعك . فمك . عيناك . شعرك .
- وانفجر قبلا تسبقها الدموع .

- ابق من اجلي !
- انا محتار !!

هو رأس الخيط .

- لا ادري ماذا حل بي !! .. وجودك معي ينسيني
- واقعي وماضيي ومستقبلي ! .. احس بانني اعيش لحظتي
- فقط !

- ابدنا هو هذه اللحظة .

والساعة هي العاشرة ليلا . طرقات البصرة شبه
مقفرة . ومن دون وعي رحنا نذرع الطرقات .
طيلة الوقت كنت اتوسل اليك بالعدول عن الهرب .
هربك ضياع لك . لمستقبلك . عملك . اولادك .
واخيرا لي أنا التي اكتشفت وجودي فيك .
وفجأة وجدنا انفسنا في طريق مهجورة تؤدي الى محطة
قطار البصرة القديمة .

- لن اعود الى البيت الا بعد ان تعني بالعدول عن
الهرب الى ايران !

- ...

- هل تعني ؟

- لا استطيع !

- ارجوك !!

- لا استطيع !

- اتوسل اليك !!

- لا استطيع !

توقفنا . كنا قد حاذينا احدى القاطرات الحديدية
الصدئة .

- من اجلي !!

- لا استطيع !

- انا ... انا احبك !!

- وانا احبك .. لكنني ساذهب .

امسكت رأسك . قبلتك بقوة . حناني وانوثتي
تتفجران في شفتي .

- من اجلي !! من اجلي !!

- ...

ووجدت نفسي اتوالد على فمك . الدماء تغلي في
جسدي . اللهات . الدور في رأسي . الارض تدور .
القاطرات تدور . الليل يدور . الخوار . ملت الى الخلف .
برودة القاطرة تتسرب الى ظهري . اتكأت عليها . وكلماتي
المحمومة :

- من اجلي انا !! .. من اجلي !! .. من ..

وبدأ فمك يأكلني . واسعدني جدا ان اؤكل .

- انا احبك ! .. انا لك !

يدك تمتد الى ما بين ظهري وحديد القاطرة . تطويني
اليك . اصابعك تزحف من تحت ابطي الى ثديي .

- لا تذهب .. انا احبك !

واليد الاخرى تطوق نصفي الاسفل . تشد عجيزتي
اليك .

- ستبقى ! .. اليس كذلك ؟!

- ...

ولم تراودني فكرة ان اعارض عندما راحت يدك ...

- ستبقى ! .. سنتزوج !

-

قطعة من ثيابي الصغيرة تتمزق .

- سنتزوج !

وكان الما اشبه بلسعة سيجارة . لم اصرخ . كادت
تفلت من فمي صرخة ، لكنني امسكتها ، وادركت بانني خرقت
والدم ...

- انت .. انت ..

لم أستطع الاتمام . ساقاي تخونناني . استندت الى

كتفك . والدّم ... وتصاعدت من صدري الى حنجرتي
موجة عارمة .

- انا .. انا ..

ثم بكيت ، والدّم ...

- سابقى يا حبيبتي .

تكفكف دموعي .

- سنتزوج .

ثم توقعتك صباحا . ظهرا . عصرا . مساء . لكنك
غبت اسبوعا ، بعده جئتني وانت اشبه بحطام انسان .

- اين كنت ؟!

- على الحدود الايرانية العراقية .

- لم تف بوعدك !

- بل انا به .

- متى ؟

- بعد تسوية مشاكلي .

وامتدت فترة الخطوبة ثلاثة اشهر . اكتشفت
خلالها ..

- « انا حامل » .

لا اريد ان اقول : أنت حقير .. أجهضت طفلنا !
 ولا اريد ان اقول : انت ضيقتني ! اجبرتني على ترك
 عملي كمعلمة بعد زواجنا مباشرة .
 وجها لوجه :

- فاطمة انت تعلمين .. انا انسان من نوع خاص ...
 احتاج الى جو خاص . القراءة . التأليف ...
 - وهل قصرت في شيء ؟
 - لا ، لكن العمل يشغلك عن العناية بأموري وأمور
 المنزل ، ثم انا احبك واغار عليك .
 فابتسم لك بكل حبي .
 - ماذا تريد مني بالضبط ؟
 - كوني ربة بيت . فقط .
 - ولكن ..
 فتضع أصابعك على شفتي .

- مرتبي فيه الكفاية .

نزولا عند رغبتك :

- كما تشاء يا حبيبي .

لكنك غادرتني ! هجرتني ! تركتني بعد زواجنا باسهر !
ولو انك تركتني لوحدي ...

- فاطمة .. انا لا استطيع دفع نفقة طفلين في آن
واحد ... ما رأيك لو اخذنا الصبي لدينا ؟ ... زوجتي
السابقة لا تمنع .. خاصة وانها مقدمة على زواج ! .
- كما تشاء يا حبيبي .

★ ★ ★

كل هذا ليس مهما . المهم هو عملي في المصنع .
وجودي في المصنع .

بعد مغادرتك الى المجهول ، وانا المسؤولة عن اعاله
نفسي وابنك . بحثت عن عمل ...

في المصنع . بين العمال . وسط خضم العالم الذي
آخر .

هل كنت - معك - ضحية غبية مخدوعة ؟! وهل ان
مخطوطاتك وكتبك التي اورثتني اياها ؟! ام انها مواجعتي
لمسؤوليتي عن ابنك ؟!

في المصنع . بين العمال . وسط خضم العالم الذي
لا يختلط فيه اللون الابيض بالاسود .

المصير المشترك ، وجهد انتزاع اللقمة ، وانا مع المدير
بشخصيتين .

عيناه ، وجوع الذئب الذي يتجسد فيهما .

- انت سكرتيرتي الخاصة . رفعت الى المديرية تقريراً
عنك . لا بد من علاوة طبيعة عمل .
لكنني معه احس بانفصالي عنه . ومع العمال ...
احمد عبدالله بالنسبة اليك يقف في الطرف الثاني .
يناقضك تماماً .
هو عامل فني فقط . هو ... الصدق . الصراحة .
الارادة . الالتزام .
وانت ماذا ؟!
لو اني التقيته قبل لقائي بك ... فهل يجهض ال ...
والآن ... لا بد من التقائي به .

المكان : غرفة المدير
 الوقت : الساعة الثانية عشرة ظهرا
 الحالة : حوار متوتر
 الاشخاص : -
 ١ - فاطمة
 ٢ - المدير

الزائر يتسهم بود . يقف احتراماً . يفتح الباب ، فتدخل فاطمة .

اناقته . كتفاه العريضان . القليون . الفودان
 المزينان بشعيرات بيضاء .
 المدير : اهلا

اساريه ...
 فاطمة : مساء الخير .
 المدير : مساء الخير . لم أرك اليوم !

فاطمة : « أنت تدري ... العمل »

المدير : اجلسي .

تتردد .

فاطمة : ولكن ... العمل ...

ينهض عن كرسيه . صوته اقرب الى الامر :

— اجلسي .. لا اهم من العمل الذي لدي .

ويبدع يذرع الغرفة . الاهتمام على وجهه ،
واحساسها بالخطر الداهم . تغلف صوتها بالود :

— ماذا حدث ؟!

يتكئ الى جانب الواجهة الزجاجية المطلة على باحة
المصنع .

ينفث دخان غليونه مصحوبا بزفرة . يدير رقبتة الى
حيث تنفذ عيناه عبر الزجاج .

المدير : مجرمون !!

فاطمة : من هم ؟

المدير : العمال .

تلوذ بالصمت . كريم البصري كان قد قال لها :

((— المدير يعرف بأمر الاضراب))

المدير : ناكرو جميل ! مخربون ! فوضيون !

ثم يعود يذرع الغرفة .

المدير لا بد من سحق رأس الافعى . لا بد من

مباغتتهم .

لا بد من اعتقالهم . اليوم بالذات .

تتظاهر باللامعرفة . تتصنع الدهشة .

فاطمة : انا لا أفهم شيئا !!

المدير : لا تفهمين ! .. الآن ستفهمين . هاتي ورقا
وقلما !

★ ★ ★

ال ... محترم ... وزارة ...

ثبت لدينا ... احمد عبدالله ... بما لا يدع اي
مجال للشك .. جعفر علي ... تنظيم حزبي محصور ...
كاظم عبيد .. الاقتصاد الوطني ... احمد ... التدابير
الرادعة ... عبد الله ... الاضراب .. جعفر .. الوقت
.. علي .. القبض .. كاظم .. سري .. عبيد
.. التدابير الرادعة .. سري .. مستعجل جدا ..

عضلات بطني تتقلص . الدوار في رأسي . الكلمات
التي يخطها قلمي تتراقص أمام عيني .

احسه يعريني من ثيابي . ويقف غير بعيد عني متفرجا
بتلذذ .

- اغبياء ! يظنونني اجهل تحركاتهم !

احسه يدينني . لهجته اتهام ضمني .

« احمد عبدالله .. صباح الخير »

« صباح ال .. ورقة .. اخواننا العمال ... »

نطالب .. ونطالب .. واخيرا نطالب ... »

وتتجسد في عينيه فرحة حاقة .

- سأسحق رأس الافعى !

الورقة . القلم .

« الورقة . الحقيبة . مطالبنا او الاضراب . كريم

البصري .. هل تعلمين بامر الاضراب ؟ »

« احمد اعطاني . . »

« المدير يعلم »

« . . . احد الخونة »

« أنظر الى هذا الملف ! »

وصوت المدير المتوعد :

- لا بد من اعتقالهم ، اليوم بالذات !

« كريم البصري ! . . كيف عرف بأن المدير . . . »

« السيد المحترم وكيل وزارة . . . »

« من الذي اخبر كريم البصري بأن المدير . . . »

- لا بد من اعتقالهم فوراً !

« سري . مستعجل جداً . التدابير الرادعة »

ولا أجسر على السؤال .

- لو تركتهم طلقاء الى الفسد لعمت الدعوة الى

الاضراب بين صفوف العمال .

الضربة ساحقة .

« مستعجل جداً »

ومفاجئة .

« سري . حزبي . تنظيم . محصور »

الوقت ضيق وأنا . . .

★ ★ ★

- اطبعيه على الآلة الكاتبة .

الكابوس ، واطلق زفرة حائرة يلتقطها مباشرة .

- ما بك ؟

... -

- هل انت متعبة ؟

- جداً .

يبتسم بتفاهم ذكي .

- انت فوجئت !

جدا .

يدور خلف الكرسي الذي اجلس عليه . يضع يده على

كتفي . جسدي يكاد ينكمش .

- لماذا فوجئت ؟

فاجيبه بعفوية :

- احمد عبدالله .. علي عبيد .. جعفر كاظم ..

عمال نشطون .. مخلصون .. فكيف يـ ...

لا يدعني اتم . يقاطعني :

- لك حق ... انت انسانة طيبة .. واحكامك على

الناس تتماشى مع طبيعتك ... اليس كذلك ؟

- ...

- هم نشطون، مخلصون في عملهم، كما هم نشطون،

مخلصون في تزعمهم لدعوة الاضراب .

- لا افهم !

- « حسنا » .. انظري الى هذا المنشور الفوضوي !

يده الى جيبه . الورقة امام عيني .

« احمد ... الورقة »

تذكرت حقيبة يدي . هي موضوعة على مكتبي بالقرب

من جهاز التلفون .

ebooks4arabs.blogspot.com

عليها ان تتحرك . لا بد من عثورها على احمد .
 محاولاتها اليائسة للقائه اثناء ساعات العمل باءت بالفشل .
 « اشغالات » المدير . واوامره الى الحد الذي
 استنزف وقتها . وعينا الزاير تتابعانها من خلال طلبات
 المدير .

لو انها تثق به :

— اذهب الى احمد .. اسأل عن احمد .

وكريم البصري ... من يدري ... هو ايضا ...
 املها كان معلقا على فترة الانصراف ؛ لكن المدير ...

— خذي هذه الاوراق و ...

★ ★ ★

الابواب تنغلق بلامبالاة . وكان علي ان اتصرف باعصاب
 باردة ولا مبالاة .

- باستطاعتنا الانصراف الآن .

-

- تعالي اوصلك بسيارتني !

هل اذهب ؟

- بقيت بعض الاوراق لا بد من ادخالها في الملفات .

- دعيها للغد ... هم يفلقون ابواب المصنع .

- لن اتاخر كثيرا .

فيبتسم المدير :

- هذا الاعتذار الراضى دائما !

لا ارد بشيء . اتجه ناحية غرفتي . خطواته نحو

الطريق ، وخطوات الزاير من خلفي . اقف . التفت اليه .

- ماذا تريد ؟!

صوتي غضب . رد الفعل على وجهه . قامته تستقيم

قليلا .

- اردت التأكد من اغلاق الابواب .

له كل الحق . كلب امين . رئيس سجانين . يغلق

باب غرفة المدير . يستدير ، وظلال حزن على وجهه .

من الملف الخاص باحمد حصلت على عنوان البيت .

لا بد - وباسرع وقت - ان يعرف بالتطورات الاخيرة !

حقيقية يدها . خطواتها . الدهاليز تتجاوب بصدى

وقع حذائها . الصمت . الظلال . الامتداد . الوحدة .

« خرج الجميع ! »

وداهمها شعور بالرهبة . تسارعت خطواتها .

تحولت الى ركض . لم تلتفت الى وراء . وعلى البعد بان

جسد الزاير عملاقا يقف عند البوابة الرئيسية .

زايلها الخوف . تباطأت خطواتها . وجه الزاير يحمل

انطباع وجه طفل لم يقترب ذنبا وبالرغم فهو يعتذر .

الساعة تقارب الرابعة ، وانا اذرع ازقة حي شعبي
فقير . رقم منزله معي ، ولكن انى لهذه الارقام ان تستقر .

العيون المتعبة تتفحصني بدهشة . **انا** .. ثياب
انيقة . حذاء كعب . مظهر . الوان . خطوات .

الخرج يبدأ يتسرب الى خطواتي . وعيناي تبحثان
عن قطع معدنية صغيرة . **رقم منزل** .. مثبتة فوق
الابواب ، لكن الارقام تشابهت . تداخلت . انمحت .

قدماي ، وحذاء الكعب . التعب ، والساعة هي
الخامسة والنصف ، والجو ما يزال خانقا .

هل اعود ؟!

والحي الشعبي يزداد شعبية . البيوت تستند الى
بعضها .

اين انت يا احمد ؟! تعبت من البحث يا احمد !!
واسأل للمرة العشرين:

- أين بيت أحمد عبد الله العامل في مصنع الـ ...
- لا ندري .

وأنسى - أحيانا - ما يعذبني ، ويعذبني ظني بأنني كنت
فقيرة ، وأمتلك جرأة لأقول :

((- ألا أستحق زيادة مرتبي؟!))

- أين بيت أحمد عبدالله الـ ...

- لا أدري .

لو أن مرتبي زاد عشرة دنائير لاستطعت اقتناء سيارة
صغيرة .

- أين بيت أحمد عبد الـ ...

- لا ندري .

وهؤلاء ... لو أن مرتبهم زاد ديناراً في الشهر
لاستطاعوا اقتناء ...

- أين بيت أـ ...

- لا ...

لا بد من عثوري عليه .

- أين بيت ...

- ذلك هو ...

وأكاد اتهالك على الأرض اعياء ، وفي صدري تزدحم
سحابات فرح .

- ذلك هو بيته .

وتتسابق الأرجل الرفيعة للطفل الذي وجدني .

أبنك الذي تركته في المنزل منذ ثلاث ساعات، وضياعها
وسط خضم الأحداث ، ورغبتها الجامحة للاختلاء بنفسها ،
واطلاق العنان لدموعها ، ومفتاح باب البيت الذي يرفض
الاهتداء الى ثقبه نتيجة لاضطراب أصابعها .

وما ان فتح الباب ، حتى كان وجه ابنك . فرحة
صغيرة . يدها الى شعر رأسه ، واهتمام شديد على وجهه .

- جاء رجل قبل ساعة .

وجيب قلبها . الخوف . التوقع .

- من هو ؟

- اسمه كاظم عبيد . . (١)

زفرة ارتياح تعقبها لهفة .

- وماذا قال ؟

- طرق الباب . قلت له : « من أنت ؟ » . . قال :

« كاظم عبيد » . .

قلت : « ماذا تريد ؟ » .. قال : « أريد الأخت فاطمة » .

صمت كي يلتقط أنفاسه .

— وماذا قلت له ؟

يندهش من سؤالها .

— قلت : « غير موجودة » .

صبرها يبدأ ينفد . نظرت في عينيه . من عادته الا يدلي بمعلوماته دفعة واحدة . هو يحول كل شيء الى قصة مروية .

— وماذا قال ؟

— قال : « أين ذهبت ؟ »

— وماذا قلت له ؟

ثانيا يندهش من سؤالها .

— قلت : « لا أدري » .

الغضب على وجهها .

— وماذا قال ؟

— قال : « افتح الباب ! »

—

فاستطرد :

— قلت له : « ولماذا افتح الباب ؟ ! »

هل تغضب ؟ ! .. أم تضحك ؟ ! .. أهو عامل الوراثة ؟ ! .
وفضلت أن تلوذ بالصمت . وطفقت تنتظر ما يقوله الصبي .

— قال : « دعني انتظرها في الداخل ! »

— . . .

— لا .

— . . .

— الأمر مهم جدا !

... —

— لا .

وصمت برهة ، ظلال غضب على وجهه .

— شتمني وذهب .

ابتسمت . مدت يدها — ثانية — الى شعره .

— لو انك قلتها منذ البداية !

— لكن الباب طرق ثانية بعد قليل !

اللهفة في صوتها :

— ومن الطارق ؟

فيستعد للسرد :

— سألت : « من ؟ » فأجابني : « قارئ عدادات

الكهرباء » .

الخيبة . اليأس . لم تمتد يدها الى شعره . مشى الى
الداخل . فضلت عدم السماع .

— انتظري !

يلحق بها . تقف والضيق يتجسد طاغيا على وجهها .

— ماذا تريد أيضا ؟!

لا يعير غضبها اهتماما .

— قال : « أنا قارئ عدادات الكهرباء » ... فتحت

له الباب . دخل بسرعة ، وأغلقه من خلفه . ضحك، وقال :

« مرحبا » .. لم أرد عليه .. هو خدعني !

اللهفة ، والفرحة تعود الى صوتها :

— وأين هو ؟

— هناك .

يده تشير ناحية غرفة الضيوف . وفمه يهمهم بحزن
- هو خدعني !

★ ★ ★

(١) قصير القامة . أسمر . نحيف . عيناه لا تملوان من
مكر .

في الماضي كان الشخصية المحورية لرواية «الحبل» .
منح اسم « كاظم عبيد » كنوع من التعويض .

ebooks4arabs.blogspot.com

كاظم عبيد
اليوم الأول

الساعة التاسعة صباحا ، والآلات تدور . الأوراق التي وزعت في الصباح .. مطالبنا أو الاضراب .. اختفت ، وما عادت أيدي العمال تتناقلها ، بينما راحت اللسان تتناقل :

- مدير المصنع استخدم فراشا جديدا ..

- الفراش الجديد ليس فراشا .. هو رئيس سجانين!

- المدير يعرف بأمر الاضراب .

- الفراش الجديد جاسوس !

وعندما مر كاظم عبيد بالقرب من غرفة المدير تبادل مع الزاير نظرات متفحصة قبل دخوله غرفة أمين المخزن .

- هل رأيت الجلاد ؟!

- رأيت .

- المدير يعرف بأمر الاضراب ! .. علينا أن نعمل

بسرعة !

- سينفذ الاضراب خلال أيام .

- عظيم ... هل أخبرت الاخوان عن رغبتني بالتعاون

معكم ؟

- أخبرتهم .

- عظيم ... وماذا كان ردهم ؟

(الساعة الخامسة والنصف صباحا)

كم سنة مرت منذ ان تركت السرقة؟! .. ولماذا تفكر
باحترافها ثانية؟!!

في الماضي كنت تسرق من اجل .. ان آكل .. ذلك
هو التبرير الذي لم توافقك عليه زوجتك . والآن لماذا تريد
ان تسرق .. من اجل الاضراب ...

هل ستجد الجراة فتطرح الفكرة على احمد عبدالله؟!
وان كانت الفكرة وليدتك انت فعلام تشرك الآخرين؟!!

★ ★ ★

- اليوم نبدا عملية التحريض على الاضراب .

-

وتحس بضرورة تبرير وجهة نظرك .

-

- هم رفضوا مطالبنا .
 لكنها - كما عودتك دائماً - لا ترد عليك بشيء .
 عيناها فقط تتكلمان .
 « وما الداعي لأن تحشر نفسك ؟! »
 هي لا تفهم ! .. ولا تريد ..
 - نحن نطالب بحقوقنا المشروعة ... ساعات العمل
 ... الظروف الديمقراطية .. الأجور .
 عيناها تعذبانه . تذكرانه بتقصيره أزاء جبهما الذي
 كان .

- أنا أعمل من أجلك واجلي .
 وفي داخله يتداعى صوت أحمد عبدالله :
 « ومن أجل الطبقة العاملة »
 لكنه احتفظ بالجملة الأخيرة :
 « ومن أجل كرامتنا » .

★ ★ ★

وعندما داهمت الشرطة منزلي لم يجدوا ما يدينوني به .
 - أين أخفيت منشورات الحزب ؟
 - الحزب ؟! ..
 ما كانت دهشتي كاذبة .
 - وتظاهر بالغباء !
 - « أبدا » .. أنا لا انتمي لأي ..
 ولم استطع الإتمام . كلمة حزب تكسرت داخل فمي
 جراء الصفعة المدوية التي سقطت على وجهي .
 - حمار ! .. كلب !! فوضوي !

وبرد فعل لاواع ارتفعت يدي . لم أضرب أحدا .
فقط رفعت يدي ، لكن الضربات ..

- لماذا تضربوني ؟

ما ألمي ضربهم لي . كنت أتوقع ذلك ، لكن الذي
مزقني ان زوجتي شاهدتهم .

- لماذا ؟! .. لماذا تضربونه ؟!

لم تستطع ان تتمالك نفسها ، انهارت باكية وهي
تصرخ :

- شرطة ! .. مجرمون !

اقرب أحدهم منها .

- ايتها ال ...

كدت أجن . هو يرفع يده .

★ ★ ★

أحس بطعم الحقد يطفئ على طعم الحزن الذي في فمه .

السرقه مبررة جدا .. هي حرب طبقية .

ما كان قد أخبرها بعزمه على السرقه .

- ما رايك لو اعود الى احتراف السرقه ؟

- ...

لا تبتم .

لا تصدقني ! .. دائما لا تصدقني !

تستدير بجسدها الى الناحية الثانية . ظهرها اليه .

وغاضبه ! .. دائما غاضبه !

نظرة أخيرة . يتعد بعدها الى حيث الباب . ويبد

خفيفة الحركة أغلقه خلفه ، واحتواه الزقاق .

نور الفجر يضيء على الطرقات والاشجار والبنيات
روحا متفتحة ، الرياح تتغلغل داخل صدره رطوبة منعشة ،
والطريق تمتد أمامه خالية . عليه أن يسير زهاء نصف
ساعة .

الآلات .. الساعة السادسة .

في نهاية الشارع الذي على يمينه يقع بيت فاطمة .
أحمد عبدالله قال عنها :

- فاطمة انسانة جيدة .. نثق بها .. رغم كونها
سكرتيرة المدير .

الاداريون ... الساعة الثامنة .

ومنذ سنوات خلت .. كنت موظفا . القصيدة التي
هجوت فيها عبد الكريم قاسم ...
بسبمة ساخرة ترتسم على فمه .
كانت اياما ... الشباب .. الطموح ... الأشهر
الأولى للزواج .

يعقد حاجبيه .
ما الذي دفعني لان أهجوه هو بالذات؟! ظننت بنفسي
القدرة على نظم الشعر فابتدأت به .

كان ذلك عام ١٩٦١
- اسمع! .. أنت بريء .. لم يعترف عليك أحد ..
وسلوكتك - منذ ستة أشهر حتى الآن لا غبار عليه . ولكن
بقيت نقطة واحدة تشغل بالنا « لماذا هجوت الزعيم؟! »

ولا أجد غير :
- لأنني مجنون .
فيضحك المحقق . يقول :
- أعلن عن براءتك ، فنطلق سراحك .

★ ★ ★

ضغط فكيه . وبقدمه ضرب حصاة صغيرة .
أعلن عن ...

راحت تتدحرج أمامه .
بعد خروجي من المعتقل بيوم واحد اغتسلت . ارتديت
ثيابا نظيفة . ذهبت الى عملي . بي شوق لان أعود اليه بعد
غياب نصف سنة ، ولدي الوازع ..

« هناك الديون التي تراكمت عليّ اثناء شهور الاعتقال »
رفاق العمل ..

- « الحمد لله على السلامة »
الفرحة . القبل . الاحضان . وحزن خفي في الاغوار .
حصاة أخرى تدحرجت الى البعيد .
وعندما دخلت على الرئيس ..

- السلام عليكم .
 ((توقفته ينهض)) ليشد على يدي

 لكنه لم ير كفي الممدودة اليه . نظرت الى يدي . كانت
 أشبه بالمشلولة . وكرهت اسقاطها ((هكذا)) .
 - ماذا تريد ؟!
 هل نساني ؟! .. محال . يفرقني شعور بالخزي ..
 ((وكرامة الطبقة العاملة))
 - سلامتك ... أحبيت ...
 لا ينتبه لما أقوله . تمتد يده الى زر الجرس . صوت
 الجرس يطفئ على صوتي . يدخل الفراش .
 - أهلا !
 الفراش يراني . يهرع اليّ . يشد على يدي بحرارة .
 ((.. العاملة))
 حرارته سرعان ما تتحول الى برودة . بعدما صاح به
 الرئيس :
 - أنت !
 يترك يدي . يستدير .
 - نعم سيدي !
 - قل للسكرتير بأننا سنخرج حالا في جولة تفتيشية .
 - أمرك سيدي .
 حصة الثالثة الى أبعد .
 الفراش يخرج مسرعا . الرئيس يجمع أوراقه .
 - ماذا تريد ؟!
 - ((سلامتك .. أحبيت .. أسلم عليك .. قبل
 استلامي العمل))

يتفحصني . لأول مرة يتفحصني . عيناه ساخرتان .

— أي عمل ؟!

وابتسامة صفراء على فمه .

— ألا تدري بانك مفصول منذ ستة أشهر !!

لم اقل له :

— والآن ؟!

لكن فراشه سألني بحزن :

— والآن ؟!

— سأبحث عن عمل جديد .

رفع وجهه . تطلع الى امام . مبنى المصنع بيان في

البعد .

★ ★ ★

— أنا أيضا مثلك . كنت سجيناً سياسياً . فصلت

من عملي وأنا في السجن . بعد خروجي من السجن تشردت

لفترة ليست بالقصيرة ، ريثما حصلت على عمل في قسم

الاعلام باحدى الشركات الأهلية التي تربطني باحد موظفيها

صداقة قديمة . والى جانب هذا العمل عملت في الصحافة .

— ...

يسحب كريم البصري دخان سيجاته الى صدره ،

ويطلقه نحو السقف بثقة ، ثم يستطرد :

— عملي الصحفي وفر لي فرصة اقامة علاقات صداقة

مع الكثير من المسؤولين . عرضوا علي ان اشغل مناصب

محترمة .

— ...

يهز رأسه بتفهم ، وابتسامة متأمرة على فمه .

– لكن المنصب الجيد لا يأتيك جزافا • هم يطلبون الثمن ، وانا ارفض ان ابيع نفسي • الانسان مبدا وموقف واخلاق • لهذا السبب تراني •• امين مخزن فقط !

– ...

يتناول علبة سجائره ، ومن عقب الأولى يشعل الثانية •
– الراتب كما تعلم حقير ، لكن عملي الصحفي يغطي النقص •

– انا كنت اكتب الشعر •
– عظيم •• هات احدى قصائدك كي ننشرها في الصحيفة •

بي رغبة لان ادخن سيجارة • نهضت • اقتربت من مكتبه • مددت يدي الى علبة سجائره •
– ((عفوا •• عفوا •• خذ سيجارة •• خذ !))

قلت له :

– قبل سنوات كتبت قصيدة ، رفعت ثمنها ستة شهور سجن •

ضحك حتى مال الى وراء •

– ((كلنا في الهوى سوى))

يتطلع اليّ •

– هل كنت في الحزب ؟

– لا •

احسه يستصغر شاني •

– ولماذا سجننت اذن ؟!

– قصيدتي كانت هجاء لعبد الكريم قاسم •

يضحك باعلى • يميل الى وراء اكثر •

- ابرياء كثيرون مثلك ذهبوا ضحية سياسة التنازلات
التي مارسها حزبنا أيام عبد الكريم قاسم .

★ ★ ★

كان قد وصل بوابة المصنع .
- مطالبنا رفضت . غدا نبدأ التحريض على الاضراب .
هذا ما قاله لي أحمد عبدالله امس .
اليوم نبدأ بتحريض العمال على الاضراب . ترى هل
أجد الجراءة كي اطرح عليه فكرة مشروعى ؟!
هو قال :

- لعلنا نحتاج الى جمع بعض التبرعات بعد تنفيذ
الاضراب . قد لا يجد بعض العمال المضربين ما يأكلونه .

(الساعة التاسعة والنصف)

صوت الآلة التي أمامه يسم اذنيه . النقمة في صدره .
 كريم البصري كان مثلي . سجيناً سياسياً مفصولاً من
 عمله . لكنه الآن موظف اداري .

- عملي الصحفي ... علاقات صداقة ...

وأنا .. عندما أفتتح هذا المصنع استعنت بكل من
 أعرفه . الوساطات . الاتصالات . حتى قبل طلبي . لو اني
 بقيت أمارس السرقة ...

قال لي مسؤول التوظيف في المديرية العامة :

- جميع الوظائف الكتابية مشغولة .

- انا كنت موظفاً في ...

فيقاطعني :

- عامل فني . هل ترغب بهذه الوظيفة أم لا ؟!

...

أرغب . وهل هناك أي مجال للاختيار ؟!
- ستدرب على الآلة لمدة اسبوع .
وقتها قالت زوجتي :
- المهم أن تبدأ العمل . وسيجيء اليوم الذي
ينصفونك فيه .

★ ★ ★

- سيجيء اليوم الذي ينصفوني فيه !
هذا ما قاله كريم البصري قبل نصف ساعة . الغضب
في صوته ، والقهر على وجهه . لم ترد عليه بشيء ، وانسحبت
من غرفته بصمت . الحوار الذي كان قد دار بينكما :

- سينفذ الاضراب خلال ايام .
فرد عليك بحماسة :
- عظيم .. وهل أخبرت الاخوان عن رغبتني بالتعاون
معكم ؟

- أخبرتهم .
ولم تستطع اضافة كلمة أخرى .
- وماذا كان ردهم ؟
لا مفر من الاجابة .
- الرفض .
رفض التصديق على وجهه .
- لماذا ؟!!

- احمد عبدالله يقول : « لا نستطيع ان نثق بكل
انسان » .
كريم البصري يفعل . يفضب .

- باسم من يتكلم احمد عبدالله ؟!

... -

- كيف سولت له نفسه ...

يمد يده الى علبة سجائره .

- يمنعني من تادية واجبي !

... -

- والآخرين ... ماذا قالوا ؟

- لا أدري ... انا لا اعرف غير احمد عبدالله وجعفر

علي .

يصمت برهة .

- ماذا قال جعفر علي ؟

- ظل صامتا .

ينفث دخان سيجارته بعصبية .

- لا بأس !

ثم يستطرد مهمهما :

- سيجيء اليوم الذي ينصفوني فيه !

لا ترد عليه بشيء . تنسحب من غرفته بصمت .

كان بودك لو تقول لكريم البصري :

- لست وحدك . انا أيضا صرت من المفضوب عليهم .

الفكرة بحد ذاتها .. «كريم البصري يرغب بالتعاون معنا»

جلبت لي النعمة . الانزعاج على وجه احمد عبدالله .

- من الذي طلب منك الاتصال بالبصري ؟!

- لم اتصل به ... هو مجرد اقتراح .

لا يصدقني . عيناه تصرحان :

« أنت تكذب ! »

رد فعل الاقتراح كان كبيرا . لهذا السبب لم تجد

الجرأة اللازمة لطرح فكرة المشروع الذي يشغل ذهنك :

« السرقة » .

غضب أحمد عبدالله .

- من الذي طلب اليك الاتصال بكريم البصري ؟!

- لم اتصل .

- لا تقدم على أية خطوة دون أن ...

وموقف جعفر علي الذي ظل صامتا ولم يعلق بكلمة .
الاحساس بالذنب الى جانب الشعور بالظلم .

انا لم ارتكب ذنبا . كلنا نسعى لخدمة القضية .

- لا تقدم على ...

انا اعرف كريم البصري أكثر منهم . هو صديقي الى
حد ما . كان قد فتح لي قلبه .

- انا أيضا مثلك . كنت سجيناً سياسياً . فصلت

من عملي ... الانسان مبداً وموقف واخلاق ... ابرياء ..

مثلك .. أليس المفروض بنا ان نجند كل قوانا ؟!

الشعور بالظلم .

- من الذي طلب ...
- فاضطروك لممارسة الكذب .
- لم اتصل به . هو مجرد اقتراح .
- لا تقدم على ...
- ولهفة كريم البصري :
- ما كان ردهم ؟
- الرفض .
- باسم من يتكلم احمد ...

★ ★ ★

- كنت بصدد مناقشة مشروعك مع احمد عبدالله .
- « اسمع اخ احمد » ... امس انت قلت : « لعلنا نحتاج الى جمع بعض التبرعات ... »
- ساعتها سيتطلع اليك احمد مستفهما ، فتقول :
- انا خير متمرس بالسرقة . في الماضي نفذت اكثر من عشرين عملية سطو ناجحة على بيوت ضباط الشرطة . ما راىكم لو وضعت خبرتي هذه في خدمة قضيتنا ؟
- لن يفهم احمد عبدالله ما تعنيه بالضبط .
- نحن بحاجة الى مال ، وعملية سطو ناجحة على بيت مدير المصنع لن تستغرق مني ساعة واحدة ...
- احمد عبدالله وجعفر علي سيتبادلان نظرات متفهمة .
- السرقة - هنا - مبررة .
- فتضيف انت :
- نحن نسرقة الذين يسرقوننا .
- ولعل جعفر علي يتدخل قائلا :
- لو نجحت هذه العملية لطاش صواب المدير ، وفقد قدرته على التفكير السليم .

لكن غضب احمد عبدالله المفاجيء ..

- من الذي طلب ...

شل قدرتك على الكلام .

- لا تقدم على اية خطوة دون ...

مات الدافع ، وما عدت تملك القدرة على طرح الفكرة .
متى سيكون الوقت مناسباً؟! .. وان كان .. فهل ستحظى
فكرتك بالقبول؟! ..

المكسب الشخصي ...

فكرة لم تراودك . كل الذي تهدف اليه ...

ان اضع نفسي وخبراتي في خدمة القضية .

المكان : بيت كاظم عبيد
 الوقت : الساعة الخامسة مساء
 الحالة : سكر غير شديد
 الاشخاص :

- ١ - كاظم عبيد
- ٢ - كريم البصري

طرقات سريعة متلاحقة على
 الباب .

كاظم عبيد من الداخل : من ؟

الطرقات تعود باشد . كاظم
 عبيد يسرع الى الباب .
 الطرقات تتلاحق .

كاظم عبيد بغضب : من ؟

كريم البصري من الخارج : انا .. انا كريم .

كاظم عبيد يفتح الباب .

يندهش .

وجه كريم البصري محتقن .

عيناه جاحظتان .

رائحة « العرق المسيح »

والقائمة المشدودة من غير توازن .

كريم البصري : انا .. انا اخوك كريم البصري

.. الا تعرفني ؟!

كاظم عبيد : بلى .. ولكن ..

كريم البصري يقاطعه : ألا .. ألا تدعوني للدخول .

صمت قصير .

كاظم عبيد : تفضل .

★ ★ ★

كاظم عبيد : انت سكران !

يضع كريم البصري عينيه في

عيني محدثه . يقول :

— انا سكران ! .. لا .. لا ..

لم اشرب سوى أربع كؤوس

صغيرة .

كاظم عبيد بدهشة : ومتى شربت ؟! .. نحن لم

نغادر المصنع الا منذ ساعة

واحدة !

كريم البصري : انتم توجهتم الى بيوتكم المحترمة

... وانا توجهت الى أقرب بار .
لا يمنع كاظم عبيد نفسه من
الابتسام .

— ولماذا فعلت هذا ؟!
يضيق كريم البصري فتحة
جفنيه .

— وتتجراً فتسأل « لماذا » ؟!
ألا تعرف السبب ؟!

كاظم عبيد : لا .

كريم البصري : انتم السبب .

كاظم عبيد بدهشة : نحن السبب ؟!

لكن كريم البصري لا يعقب على
دهشة كاظم عبيد، ويهمهم محدثا
نفسه :

— انتم مساكين !

ثم يرتفع صوته الى مستواه
الطبيعي :

— مساكين ... واسمح لي ان
أقول .. « أغبياء » .. احمد
عبدالله ، جعفر علي ، انت ،
كلكم أغبياء ، عدا فاطمة ،
فاطمة انسانة رائعة ، الا
توافقني على هذا ؟

كاظم عبيد : ...

كريم البصري : لكنها — ايضا — غيبة ، لا تكاد
تشعر بوجودي ، لو اني اجرؤ

على مصارحتها !... انما كيف
أصارحها وأنا جبان ؟!
ضحكة ساخرة ، مبتورة ،
تنفلت من فمه ، ويستطرد :
- انا جبان . هل تعرف هذا ؟

كاظم عبيد : ...

كريم البصري : جبان جدا . كلهم يقولون :
« كريم البصري جبان ، قدم
براءة من الحزب واعترف على
رفاقه »

يصمت برهة ، ثم يشير بأصبعه
الى كاظم عبيد .

- كذلك انتم .. كلكم جبنا ..
لا تحسبون حسابا لقدرات
الانسان الجسدية والنفسية .
انتم محظوظون . لو ان التيار
جر فكم .. السجن والتعذيب ..
لسقطتم مثلي !

يتوقف عن الكلام لثوان ، ثم
يستطرد بحزن :

- نعم محظوظون . ولكن أين
الحظ الآن ؟ .. أين المفر الآن ؟!

كاظم عبيد ~~بالهتاف~~ : ما الذي حدث ؟!

كريم البصري لا يجيب مباشرة .
يصمت . يجمع شتات افكاره .
يعقد حاجبيه . تمنحي انفعالات
الحزن والفضب من على وجهه ،

• ويحل محلها فزع مفاجيء •

– الاعتقال !.. صدر امر
اعتقالكم . أنت ، واحمد عبدالله ،
وجعفر علي .

• يهم بالانصراف •

– لا بد من ذهابي قبل مجيء
الشرطة !

كاظم عبيد « بدهشة » : أية شرطة ؟!

كريم البصري :

كاظم عبيد « بفزع » : لماذا يجيئون ؟!

كريم البصري :

ظم عبيد « بفزع اشد » : كيف عرفت ؟

• كانا قد وصلا قرب الباب •

يم البصري « بخبث » : سر المهنة .

كاظم عبيد « بحيرة » : لا افهم ما تعني !!

كريم البصري : والى الأبد لن تفهم . انتم لا

تميزون بين المخلص والجاسوس !

ويرتفع صوته فجأة :

أنا جاسوس ؟! .. بربك يا

كاظم عبيد !..

.. أنا جاسوس ؟!!

هل كان توقعك في محله ؟ .. أم ان الخوف هو الذي
 دفعك لاحكام اغلاق الباب ؟!
 وهل ان عملية التوقيت بين ذهاب كريم البصري ومجيء
 الشرطة كانت مبيتة ؟ .. أم انها محض صدفة ؟!



تلاحقت الطرقات . عنيفة . آمرة . وتبادلت أنت
 وزوجتك نظرات ذات معنى .
 هلعها عليك ، وخوفك من الاعتقال . هل تذهب بنفسك
 الى الباب ، تفتحه ؟!

- أنت كاظم عبيد ؟
- نعم .
- تعال معنا .
- الى اين ؟!

– لدينا أمر باعتقالك .

القيد يوضع في يدك . الى السيارة . الى المعتقل .

– صدر أمر اعتقالكم .. انت .. احمد عبدالله ..

جعفر علي .

أم ان الهرب اسلم ؟! صوت زوجتك يصلك محشرجا
مشحونا بالفزع :

– الباب !!

أنت معتاد على الهرب . هل نسيت أيام الكويت ؟!..
العمل في حفر المجاري ؟!..
مزاملة العمال الإيرانيين ؟!..
العودة الى الحدود العراقية ؟!..
مخفورا عدت .
والى المعتقل – الآن – مخفورا ستذهب .
الطرقات تكاد تحطم الباب . وعينا زوجتك تتوسلان
المجهول .

– قول لي لهم : « زوجي خرج قبل ساعة » .

لو انك سلمت نفسك اليهم .

– تعال معنا .. لدينا ..

لكنك بحاجة للاتصال باحمد عبدالله . واحمد عبدالله
أهو معتقل ؟!

لو ساءت الامور أسلم نفسي غدا . أقول لهم : « كنت
خارج البيت » .

ثم تقفز الى السلم . تتسلق السلم . السطح طريق .
وسطوح بيوت الجيران . طريق . بإمكانك العبور . بيت ...
ثلاثة ... خمسة .. حتى تصل الى ..
وتتوجه زوجتك الى الباب .

– من ؟

وحدها تواجههم

الذل . الكرامة . الطبقة ...

وصوتها الفزع :

- من بالباب ؟

تتريث قليلا . اذناك انتظار .

- افتحي !

- من أنت ؟

- نحن رجال الأمن . افتحي !

وحدها تواجههم .

- ماذا تريدون ؟!

هل تتريث أكثر لتعرف ما يريدون ؟! ..

الخدوش في ذراعيك وصدرك . وعيناك تطالعان
 الجدار . هو بعلو ثلاثة أمتار . وبالرغم فقد اسقطت نفسك .
 ما كانت الطريق الجانبية خالية . هناك مجموعة من
 الأطفال . الدهشة في عيونهم ، ويداك تنفضان الغبار عن
 ثيابك . أحد الأطفال ينفرد عن مجموعته . يركض ناحية
 باب المنزل الذي أسقطت نفسك من جداره .

— « ماما ! .. رجل نزل من .. »

ولا تسمع بقية صراخه . عليك أن تسرع . تهرب .
 تختفي . يخيل اليك ...

الناس يعرفوني !

تعود تسوي ثيابك . تسرع الخطو .

إذا ركضت عرفوني !

إذا ركضت ركضوا ورائي !

عليّ ان اختفي بأسرع وقت ! .. أين اختفي ؟! .. أين ؟!

بيت فاطمة يقع في نهاية الشارع الذي على اليمين ،
وصوت احمد عبدالله يتداعى في اذنيك ..

- فاطمة انسائة جيدة .. نثق بها . رغم ...

فاطمة .. جيدة .. نثق .. فاطمة .. فا ..

بودك تركض . تطير . لكن عيون الناس تتابعك .
خطوك المسرع يثير اهتمامهم . هو الى الركض اقرب منه الى
المشي .

كلهم يعرفون بهربي !

ذلك هو بيتها ، وكلما أوغلت ..

بيتها !!

يقل وجود الناس . وهي تسكن ...

وزوجتي !.. ماذا لو رفع احد رجال الشرطة يده .

- أين ذهب زوجك ؟

- خرج قبل ساعة .

- تكذنين !.. أيتها الـ ...

- أين ذهب زوجك ؟

- سيدي فتشنا المنزل .

- هل صعدتم الى السطح ؟

- نعم .

- ايتها العاهرة !.. أين ذهب زوجك ؟

الحقد يغلي في صدرك .

- أين ذهب زوجك ؟

ستموت زوجتي !.. ستموت !

الفصة في فمك ، ويدك ترتفع لتطرق باب بيت فاطمة .

- من الباب ؟

سيضربونها !

انا كاظم عبيد .

- ماذا تريد ؟

ستموت من الفزع ! .. لوحدها أمام مجموعة من ...

- ((الاخت فاطمة موجودة)) ؟

- الاخت فاطمة غير موجودة .

لو كنت هناك ..

- متى تعود ؟

- لا أدري .

سيضعون القيد في يدي . الى سيارة الجيب .

- افتح الباب !

- لماذا ؟!

اعتقالي سيوفر عليها مواجهة ...

وهذا الصبي اللعين الكامن خلف الباب المغلق !!

- دعني انتظرها في الداخل !

- لا .

- الأمر مهم !

- لا .

- مهم جدا !!

- لا .

- ايها الحمار العنيد !

والرجل الذي برز من نهاية الطريق . وقوفك عند

الباب ، وهذا الحوار العقيم مع صبي لئيم سيثير اهتمامه ،

عليك ان تتظاهر بالبراءة ..

البراءة . البراءة . وكريم البصري كان قد قدم براءة

من الحزب واعترف على رفاقه .. وشى بهم .. هو يعرف

بامر الاعتقال !!

- سر المهنة .

لكيلا اثر اهتمام هذا الرجل سأنصرف في الاتجاه

العاكس لسيره .

غرفة الضيوف في بيت فاطمة ، وكاظم عبيد يتجمع
على نفسه عندما بدأ المفتاح يدور في قفل الباب .

ستفاجأ بوجودي !

أرجل الصبي تتسابق الى الباب .

ماذا سيقول لها ؟!

الباب يصر .

- جاء رجل قبل ساعة .

كاظم عبيد يرهف أذنيه .

- من هو ؟

فاطمة تسأل فيجيبها الصبي :

- اسمه كاظم عبيد .

اللهفة في صوتها :

- وماذا قال ؟

- طرق الباب . قلت له : « من أنت ؟ » .. قال :

« انا كاظم عبيد » .. قلت : « ماذا تريد ؟ » قال : « اريد
الاخت فاطمة ! » .

كاظم عبيد يبتسم لنفسه .

طبعه غريب !!

اللهفة التي في صوت فاطمة توفر بعض الاطمئنان
لكاظم عبيد ، وصوت الصبي :

- شتمني وذهب . وبعد قليل طرق الباب ثانية .
« انا قارئ عدادات الكهرباء » .

توسع ابتسامة كاظم عبيد .

لولا هذه الكذبة لما استطعت دخول المنزل ! هذا الصبي
عنيد بشكل غريب جدا !!

خطوات فاطمة الى داخل البيت .

- انتظري ! .. فتحت الباب . دخل . « مرحبا »

- « قلها من البداية ! »

صوتها فرحة ، وصوت الصبي حقد :

- هو خدعني !!

ثم يطل وجه فاطمة .

- مساء الخير .

يضطرب . يقف . يتمتم :

- انا آسف !

تبتسم مشجعة ، فيستطرد :

- هو عنيد ! .. كذبت عليه .. كنت مضطرا .

- « حسنا » فعلت .

تدخل . تجلس قبالة .

- الشرطة داهمت بيتي . انا هربت . بيتك اقرب

مكان . احمد عبدالله قال لي : « فاطمة انسانة جيدة .
نثق بها » .

الحزن يتجسد في عينيها :

- أنا - الآن - قادمة من بيته . ذهبت اليه كي

أحذره . لم يكن هناك . أخذه .

رد الفعل على وجه كاظم عبيد :

- وجعفر علي ؟

- لا أدري .

تسود ثواني صمت متوتر .

- الضربة كانت مفاجئة !

- وانت .. كيف استطعت الافلات ؟

- كريم البصري هو الذي انقذني . جاء الى بيتي ،

وحذرنى من الاعتقال .

الدهشة على وجهها :

- وكيف عرف بانك احد الـ ...

لكنها تتوقف عن الكلام فجأة . عيناها تشردان على

الجدران ، لتعودان ثانية الى وجه كاظم عبيد .

- سري . مستعجل جدا . طبعته على الآلة الكاتبة .

وضعته داخل مظروف . أخذه المدير .

صوتها باكتشاف :

- كريم البصري على علاقة بالمدير !

- ...

- أكثر من علاقة عمل عادية . هو يعرف الكثير .

صباح هذا اليوم سألني : « هل تعرفين بأمر الاضراب ؟ » .

« وهل تعلمين بأن المدير يعرف ؟ ! »

- ...

- الغريب في الأمر انه جاء اليك !!

— كان سكرانا .

— سكرانا ؟!!

— قال لي ...

ولم يتم . الكلمات ماتت في فمه . طرقات متلاحقة تتوالى على الباب . يتبادلان نظرات سريعة فزعة .

— هل تتوقعين زيارة معينة ؟

فيصله صوتها محشرجا :

— لا .

— هل تعتقدين .. (الشرطة) ؟

— لا ادري !!

الطرقات تعود تتوالى .

— هل رأيت احد وانت تدخل البيت ؟

— لا ادري !!

— وما العمل ؟!

يلتمع في عينيه حس الاكتشاف .

— ابن السلام ؟

— تعال من هنا !

السلم . السطح . وجبل الفسيل يمتد - افنيا -
امامه من اقصى السطح الى اقصاه .

مد كفه مفتوحة الاصابع . كانت الشمس على وشك
المغيب ، واطبق اصابعه على الحبل .

يا صاحبي !

الاصوات - من اسفل - تأنيه اشبه بهمهمات غير
واضحة . لم يغامر بالاقتراب من الحاجز ليتلصص ، لكن
الاطمئنان بدأ يتسرب الى داخله .

لو كانت الشرطة ، لكانت الضوواء .
الهمهمات تخف .

دخلوا غرفة الضيوف . علي أن انتظر اشارة من
فاطمة .

ولكن .. حتى متى سأظل مختفيا لديها ؟! .. رجل
في بيت امرأة !

الصمت . الهدوء . والشمس حمراء .
لولا كريم البصري لكنت الان في ...
- كريم البصري على علاقة بالمدير .
... -

- هو يعرف الكثير !
... -

- انا جبان ! .. جبان جدا ! .. كلهم يقولون :
« كريم البصري جبان .. قدم براءة من الحزب واعترف .. »
او علمت فاطمة باني - ايضا - قدمت يوما براءة ،
فهل ...

قرص الشمس يميل ناحية الافق .
الفرق بيني وبينه ... هو عضو في الحزب .. قدم
براءة .. وشى برفاقه . اما انا ... القصيدة التي هجوت
بها عبر الكريم قاسم هي السبب ، لولاها لما اشتبه احدهم
بي ! .. ما كنت حزيبا ...
- كلكم جبناء ! ... لا تحسبون حسابا لقدرات
الانسان الجسدية والنفسية !

قرص الشمس يلامس الافق .
 ترى ... هل مرت فاطمة بتجربة شبيهة بالتجربة
 التي ...

يسحب لصدرة شهيقا عميقا .
 يجيء رجل الأمن . خطواته معروفة لدينا جميعا .
 يقف بمواجهتنا . القضبان الحديدية تفصلنا عنه . يصرخ :
 « فلان الفلاني .. »

—

تتبادل النظرات . نفزع . نرثي لمن جاء دوره .
 — نعم !

— الى التحقيق .
 والتحقيق يمتد ، ويمتد . ستة اشهر .
 قرص الشمس ما عاد يبان لعينه .
 يجيء رجل الامن . خطواته معروفة لدينا . يقف
 قبالتنا . يصرخ :

- كاظم عبيد !
- تبادل النظرات معه فقط .
- نعم !
- الى التحقيق .

★ ★ ★

- اسمك ؟
- كاظم عبيد .
- علاقتك بالحزب ؟
- والله لا علاقة لي !
- اسمك الحزبي ؟
- لا اسم لي .
- من هو مسؤول خليلتك ؟
- لا احد .
- رفاقك ؟
- لا احد .
- الافضل لك ان تعترف .
- بماذا ؟!
- اعترف فنطلق سراحك .
- انا لا املك اية معلومات فكيف ...

★ ★ ★

- والتحقيق يمتد ، ويمتد ، ستة اشهر .
- اسمك ؟
- ...

- علاقتك بالحزب ؟
 زوجتي . العمل . الطريق . المقهى . الاصدقاء .
 زوجتي . لا معيل لها سواي .
 - من هو مسؤول خليتك ؟
 زوجتي . البيت . الصحف . السينما . طعام الغداء .
 الخبز الحار .
 - ما اسمك الحزبي ؟
 مدفع الافطار . زوجتي . الاصدقاء . المقهى . قدح
 شاي حار .
 - من هم رفاقك ؟
 برتقالة واحدة . علبه سجائر واحدة . زوجتي . ولو
 الليلة واحدة .
 - الافضل لك ان تعترف .

زوجتي . وجبة عشاء . لا معيل لها سواي . لا معيل
 لها ... لا ...

★ ★ ★

والتحقيق يمتد ، ويمتد ، ستة أشهر .
 ما اسمك ؟
 - كاظم عبيد .
 - اسمع يا كاظم ! .. انت بريء . حتى الآن لم يعترف
 عليك احد ، سلوكك لا غبار عليه ، ولكن .. بقيت نقطة
 واحدة تشغل بالنا ..
 .. لماذا هجوت الزعيم ؟!
 - لانني مجنون .
 فيضحك المحقق . يقول بلجهة لا تخلو من تعاطف :

– اعلن عن براءتك ، فنطلق سراحك .
الظلام يبدأ يخيم .

كنت قد عرفت ما هي البراءة . الشهور الستة علمتني
بأن البراءة صفة دقيقة تلازم الانسان الى الابد .
– اعلن عن براءتك فنطلق ...
تفصله عن ذاته وعن رفاقه .
– اعلن عن براءتك ...

ما كنت سياسيا ، ولا رفيقا ، وهي مجرد ((قصيدة
نزوة)) هجوت بها ..

– اعلن عن ...

وبالرغم فقد ترددت .
– اعلن ...

قلت للمحقق :

– وان لم افعل ؟

يطبق ملفي الذي امامه ، يتطلع اليّ لهجته لا تخلو
من تعاطف :

– رفضك يلصق التهمة بك . تهمة الانتماء لتنظيم
حزبي محظور . وثبات هذه التهمة معناه ...

يبعد ملفي الى حيث سلة في طرف المكتب ، ويستطرد:
– ما لا يقل عن خمس سنوات سجن .

الظلام يخيم تماما .

خمس سنوات !.. ماذا فعلت كي أسجن خمس
سنوات ؟!.. هي مجرد ((قصيدة نزوة)).. لن أكتب الشعر
.. لن ..

- وزوجتي التي لا معيل لها سواي !! ..
- أعلن عن براءتك فنطلق ...
- لم يبق من أثاث المنزل سوى المهم . وصوت المحقق
بلهجته التي لا تخلو من تعاطف :
- اسمع يا كاظم ! .. هل أنت حزبي ؟
- لا والله .
- أنا شخصا أصدقك ، لكنني بحاجة الى دليل
لمموس أقنع به المسؤولين على براءتك !
- وقتها سألت نفسي :
- ((هل سأكون في يوم من الأيام حزبيا ؟))
- فوصلني الجواب سريعا وقاطعا :
- ((لا)) .
- ((اذن فما المانع في ...))
- وصوت المحقق بلهجته التي ...
- ((ها)) .. ما رأيك ؟
-
- ما رأيك ؟
- أنا طوع أمرك .

★ ★ ★

- وعندما غادرت السجن اكتشفت :
- أنت مفصول من عملك .
- لماذا ؟!
- التنظيم الحزبي المحظور .
- لكن براءتي ثبتت !

★ ★ ★

بحثت عن عمل آخر ، وآخر ، وفي كل مرة ..

- طلبك مرفوض .
- لماذا ؟!
- التنظيم الحزبي الـ ...
- لكن براءتي ثبتت !

★ ★ ★

والذي بقي من الاثاث المهم جدا ما عاد بأهمية الاكل .
قيل لي :

- في الكويت مجالات عمل كثيرة ...
- تقدمت الى المسؤولين بطلب :
- زودوني بجواز سفر !
- أنت ممنوع عن السفر .
- لماذا ؟!
- التنظيم الـ ...
- لكن براءتي ...

وفي الكويت مجالات واسعة للعمل . السفر بلا جواز
سفر . السفر سيرا على الاقدام . السفر بصحبة ايرانيين
مجهولين .

- هل تعرف احدا في الكويت ؟

لا مفر من العمل في حفر المجاري . عشرون دينارا ،
وزجاجة عطر . الحدود العراقية . صفوان . القيد .
الهمهمات - في الأسفل - بدأت تصل اليه اكثر
وضوحا .

هم غادروا غرفة الضيوف .
الظلام على السطح . النور ينبعث من الأسفل . يغامر

بالاقتراب من الحاجز .. يطل .. حيث باحة المنزل .
يفاجأ :

ما الذي جاء به ؟!

عيناه وأذناه .

كيف وصل الى هنا ؟!

كريم البصري وصوته المخمور :

- لا بد أن أضع حدا حاسما لحياة العزوبية !

ebooks4arabs.blogspot.com

كريم البصري
اليوم الأول

ينفث دخان سيجارتي بثقة ، ويقول :

- المهم ان نبدا من جديد ... المهم بداننا من جديد .
- انا معك ... الفكر لا يناله الموت ... او بالأحرى من الصعوبة ان يناله الموت ، لكن الذي ...
- أريد ان ابرأ من الماضي والحاضر ، أعيش بصفاء راس ، لا اترك فجوة في راسي .
- هل انت حزبي ؟
- هل تعتقد بجوى هذه الانفصالات اليومية الصغيرة؟!
- سنضعهم امام الامر الواقع .
- لا تهتم ، فلسنت البريء الوحيد هنا .
- مطالبنا او الاضراب !
- اعتزالك السياسة لا يعني ابتعادك عن مركز الدائرة .
- وماذا كان ردهم ؟
- هؤلاء عمال ، ولديهم فهم آخر للنضال . هم بحاجة لسياسي مثقف مثلي يتولى ...
- الرفض .

الأيام تمر متشابهة ثقيلة يقتلها الروتين ، وأنا قابع
 كالسلاحفة في هذه الوظيفة الحقيرة ... أمين مخزن .
 استيقظ في السابعة . دورة المياه . معجون الاسنان .
 الفرشاة . الثياب .

— هل أرغب في تناول الافطار ؟

— لا .

السيجارة تكفي ، ثم الى الطريق . من البيت الى
 العمل . من العمل الى البيت . من البيت الى البار . من
 البار الى البار .

ليس من الأفضل لك أن تتزوج .

— لا .

لقد شوهني الشك والفشل . أتذكر أيامي الأولى في
 العمل السياسي .. كنت مدفوعا باخلاص حقيقي ..

— هل ترغب في كأس أخرى ؟

— نعم .

وهذا الحصار الذي أحسه حولي ! .. في الماضي كانت
 لي آمالي وتطلعاتي .

— تم تعيينك أمين مخزن في المصنع .

أمين مخزن . اكاد اكون غريبا وسط جمع من الغرباء .
انا عاجز عن اقامة علاقة صميمية مع من حولي .

المدير ، ومحاولاته الضمنية من اجل أن يجعلني خنجرا
يطعن به العمال . والعمال . احسني غريبا على عوامهم .
فقدت تلك الاصاله التي كنت عن طريقها أستطيع اقتحام
أكبر العقبات . بأية لغة احادث العمال ؟!

— تم تعيينك أمين مخزن في ...

ورغم كل الزمن الذي مر ، رغم الاحتكاك والممارسة ،
رغم المزاملة ، فالعامل الوحيد، العامل اليتيم الذي استطعت
كسب ثقته هو كاظم عبيد . قال لي :

— أنا اكتب الشعر .

— هات احدي قصائدك أنشرها لك في صحيفتنا .

— كتبت قصيدة ثمنها ستة شهور سجن .

— أنا ايضا مثلك ، كنت سجينا سياسيا ، فصلت من

عملي وأنا في السجن .

أحسه صادقا ، متوافقا مع نفسه . ومن جانبي لم
استطع قول :

— كنت منهارا جسديا ونفسيا عندما نقلوني من

السجن الى مكان التحقيق . كل الذي يهمني ان انتهي

بسرعة ، وبأي شكل من الأشكال ، ان احسم الامور بأية

صورة كانت . تساقطهم الذليل امامي دفعني لأن اكفر بكل

شيء .

قال لي احد المسؤولين في التحقيق :

— نحن نعرف كل شيء ... وليس هناك مجال

لبطولة بعد .

هل كنت أبحث عن بطولة ؟ ..

- لم أبحث عن بطولات .

فقال مسؤول آخر :

- كريم البصري انسان مدرك .

أحسسته يتملقني قليلا ، بينما عاد الأول يقول :

- المسألة بسيطة . لن تستغرق منك أكثر من ربع

ساعة . خذ هذا القلم وهذه الأوراق ، واكتب اعترافك .

وكاظم عبيد ينظر الي باكبار .

- هل انت حزبي ؟

فاجابني :

- لا .

- ابرياء كثيرون مثلك ذهبوا ضحية سياسة التنازلات

التي مارسها حزبنا ايام ...

ويوم جلست القرفصاء في ركن بعيد من غرفة

التحقيق . كنت منهارا جسديا و ...

- خذ هذا القلم وهذه الأوراق ...

وبدأت اكتب واكتب ...

« كريم البصري جبان .. اعترف على رفاقه »

وصوت المحقق :

- هل انتهيت ؟

- نعم .

- بقي أن تنشر براءة في إحدى الصحف .

« كريم البصري جبان .. وشى برفاقه وقدم براءة من

الحزب » .

- هل انت حزبي ؟

- لا .

- لماذا سجنتم اذن ؟!
- فصيديتي كانت هجاء لعبد الكريم قاسم .
- وأنا ماذا فعلت بموهبة الكتابة التي امتلكها .
- هات احدى قصائلك انشرها ...
- ولا اخجل من قول :
- عملي الصحفي وفر لي فرصة اقامة علاقات صداقة مع الكثير من المسؤولين .
- ولا اتردد عن اضافة :
- عرضوا علي مناصب كثيرة ، الانسان موقف ، ومبدأ ، واخلاق ، لهذا تراني امين مخزن فقط .
- عيناه تشربان كل الذي اقوله .
- خبر رفاقك العمال بانني على استعداد للتعاون معهم .
- ساخبرهم .
- وعندما اسندت الي اول مهمة حزبية ...
- الصق هذه المنشورات على جدران بيوت المنطقة الفلاية .
- اخففت بالمنشورات لدي . الخوف . الاعتقالات قائمة على قدم وساق ، ثم احرقتها جميعها بعد اربعة ايام .

أيام السجن . شهور السجن . عمر السجن . كل
الرغبات الانسانية ، صغيرها وكبيرها تأخذ طابعا مثيرا
وحادا .

قراءة صحيفة . مشاهدة ساق امرأة . وفاطمة ،
يبقى التردد في عينيها ازاء الود الذي تعرضه عليها . أنت ما
صارحتها ، لكن معاملتك لها ، اكبارك لها ، جوعك ، رغبتك ،
كل ذلك تشعر فاطمة به وتحسه .

هي سجينه من نوع آخر . سجينه جسدها . اربع
سنوات منذ أن هجرها زوجها .

وفي السجن ... هل تجد الفرصة كي تحلم بالمرأة؟!

الآخرون مشدودون الى الخارج بزوجات واطفال ،
انا .. لا شيء . ذلك وحده يمدني بقوة يفتقرون هم اليها .
استطاعتي الصمود الى ما لا نهاية .

لكن تساقطهم الذليل امامي ...

معهم ، وكنت أعيش منفصلاً عنهم . لا أحداثهم . نادراً
ما اشتراك معهم في مناقشاتهم اللامجدية . دائماً أرتكن مكاناً
منزويًا .

وكانوا يضيّقون بي ذرعاً . يمقتوني ، لكنهم يحترموني .
كاظم عبيد أيضاً يحترمك ، وفي نفس الوقت لا يمقتك .

— هل أنت حزبي ؟

— لا .

— أبرياء كثيرون مثلك ...

وفي السجن كنت اكتب . مرة حاولت رصد حدث
معين هزني ..

(جاءنا العريف . وقف بمواجهتنا ...

— محمود السلّمان !

ومن البعيد جاء الرد مزمجراً :

— ماذا تريد ؟

محمود السلّمان معروف لدينا . انسان صلب ، قضى
سنوات شبابه في خدمة القضية .

— تعال معي !

قالها عريف الشرطة بتشّيف حاقّد . اقترب محمود
السلّمان منه . وقف أمامه .

— الى اين تأخذني ؟!

— الى جهنم .

— « جهنم تأخذ رأسك » !

يجن جنون العريف ، يرفع يده ، يصفع محمود
السلّمان ، محمود يركل العريف في بطنه .

— قتلني !! .. قتلني !!

العريف على الأرض يتلوى ، ورجال الشرطة يتوافدون
راكضين .

- « من ضرب العريف ؟ »

- أنا .

فينهال عقب البندقية على راسه . يتهاوى محمود
السلمان على الأرض مضرجا بالدم .

- اضربوه !

فكانت الركلات .. الى بطنه .. الى صدره .. الى
راسه ، وكنا نقف كالمشلولين . ثم حملوه الى جهة مجهولة .
ولم نسمع أخباره بعد ذلك) .

ليلتها . وعلى ضوء ضعيف آت من خلال القضبان
كتبت ..

- أنا اكتب الشعر .

- هات احدى قصائدك ..

(الساعة التاسعة والنصف صباحا)

أن تتعاون مع العمال .. ليس بالقرار السهل . لعلك
سكرت عشرات المرات ، وارتقت ليال طوال . اعتزالك
السياسة لا يعني ابتعادك عن مركز الدائرة .

وكاظم عبيد هو حلقة الاتصال .

هؤلاء عمال ، ولديهم فهم آخر للنضال . هم بحاجة
لسياسي مثقف مثلي ، يتولى قيادتهم ، وتوجيههم .
والمدير الذي يتعامل معي ...

- مرحبا استاذ كريم .

- كيف الحال استاذ كريم ؟

- ما هي آخر اخبار النشاط الصحفي يا استاذ

كريم ؟

- على ما يرام .

- متى تنشر التحقيق الصحفي الذي أعدته عن

مصنفنا يا استاذ كريم ؟

— قريبا ان شاء ...

هو يحاول استغلالي حتى آخر الشوط . الاستفادة
مني قدر الامكان . لكني حتما .. بل يجب أن اكون اذكى
منه .

هو — على ما يبدو — يعلم بأمر الاضراب . والشائعة ..
« المدير عين رئيس سجانين فراشا خاصا له »
بدأت تتأكد .



ان تتعاون مع العمال ليس بالقرار السهل ، لعلك
سكرت عشرات المرات ، وأرقت ليال طوال . ويجيء عامل
بسيط ، مجرد عامل بسيط ، فيقضي على كل هذه المعاناة .
يسحقها .. يغتالها بقوله :

— لا .

دخل عليك كاظم عبيد وعيناه تحملان الحزن . له
الحق ان يحزن .
لعله لا يملك ثمن علبة سجائر ... سأعطيه سيجارة .
وتبادره القول :

— هل رايت الجلاد ؟

— رايته .

— المدير يعرف بأمر الاضراب !

— اظن .

اجاباته ليست مقتضبة ، لكنها حزينة . مختصرة .
تدل على لا تحمسه . وتفكر بجره الى مناخ القضية ، فتقول
بلهجة غنية بالمشاركة الوجدانية :
— علينا ان نعمل بسرعة !

- سينفذ الاضراب خلال ايام .
- تندهش . هو لم يقل : « سينفذ الاضراب » وبالرغم
- هل اخبرت الاخوان عن رغبتى بالتعاون معكم ؟
- اخبرتهم .
- ويصمت . ما به ؟!
- وماذا كان ردهم ؟
- الرفض .
- الرفض !! .. لماذا ؟!
- احمد عبدالله يقول : « لا نستطيع ان نشق بكل
- انسان » .

هزلت !.. والله هزلت حتى سامها كل مفلس !..
 عامل بسيط ، مجرد عامل بسيط نكرة ، يقضي على كل
 شيء بقوله :

- لا .

هل يعرف ما هو النضال ؟!.. هل دفع ولو قليلا من
 ثمن النضال ؟!

- لا نستطيع ان نثق بكل انسان .

ماذا يظن في نفسه ؟!.. ومن هو حتى يطلق - مثل -
 هذه الاحكام القاطعة ؟!

- لا نستطيع ان نثق ..

اما كان الاخرى به ان يسأل :

- من هو كريم البصري ؟

ان يعرف :

- ما هو تاريخه النضالي ؟

او يتردد :

- لماذا يبغى التعاون معنا ؟
- والنضال .. أهو وقف على أمثال احمد عبدالله ؟!
- لا نستطيع ان ...
- على اكتافنا نحن بني الحزب . ومن دمائنا الزكية
- سقيناه . ويجيء عامل نكرة ليقول :
- لا .
- بمثل هذه البساطة ، وبكل هذه السهولة نصبح
- اصفارا على الشمال ؟!
- نعم أخبرتهم .
- باسم من يتكلم احمد عبدالله ؟!
-
- والآخرين .. ماذا قالوا ؟
- لا أدري .. أنا لا أعرف غير احمد عبدالله وجعفر
- علي .
- ماذا قال جعفر علي ؟
- ظل صامتا .
- ولا كلمة حتى الى جانبي !! هزلت .. والله هزلت ! .
- ثلاثة عمال .. احمد عبدالله .. جعفر علي .. كاظم عبيد ..
- يجتمعون .. يناقشون موقف كريم البصري .
- هل أنت حزبي ؟
- لا .
- لماذا سجت اذن ؟!
- وينتهون الى قرار :
- لا نستطيع ان نثق بكل انسان .
- واحمد عبدالله .. هل هو حزبي ؟! .. لعله .. لا .
- وذلك الذي بقي صامتا ! .. أهى نوع من انواع
- دكتاتورية البروليتاريا ؟!

هكذا اذن يا اخواننا العمال !!

- لا بأس .. لا بأس ..

كيف سولت له نفسه أن يمنعني من تأدية واجبي
النضالي؟!!

- لا بأس يا اخواني العمال !. سيجيء اليوم الذي
تنصفوني فيه .

عندما قرر كريم البصري أن يذهب الى غرفة فاطمة
 كان بأمس الحاجة لانسان يتحدث اليه ، ويشكوه همومه .
 فاطمة امرأة ((حبوبة)) ، مثقفة ، وموقفها من مدير
 المصنع واضح . أكثر من مرة شاركتني الشكوى من الوضع .
 حلوة ، بجسد يتفجر أنوثة . هي نموذج خاص من النساء .
 فرضت وجودها علي من أول نظرة . ولا بد ان السيد المحترم
 احمد عبدالله شطب اسمها - ايضا - من مخيلته ، خاصة
 .. وهي سكرتيرة المدير .

★ ★ ★

ما ان دخل غرفة فاطمة حتى صدم بوجود رجل غريب ،
 لكن ذلك لم يفت في عضده .
 - صباح الخير .
 - اهلا . تفضل !

تقدم منها . دار خلف كرسيها . انحنى على رأسها .
همس في أذنها بلهجة شبعها كل اهتمامه :

— هل عرفت بأمر الاضراب ؟

توقع ردها دهشا :

—أي اضراب ؟!

فيجيئه صوتها :

— اعرف هذا . احمد اعطاني ورقة .

اجابتها رغم كل ما فيها من براءة أشبه بصفعة حادة
سقطت على وجهه .

هي واحمد عبدالله يتحركان على أرض واحدة !

أهذا بالامكان ؟!

أم ان هذا الغبي يهدف الى الاصطياد في الماء العكر ؟!

الفرصة سانحة : « الاضراب . التعاون مع العمال .
الطبقة العاملة . النضال من أجل أهداف عليا . ال . . . »
وهي انسانة طيبة . ساذجة .

من هذا المنطلق يوطد علاقته بها لكي يصل الى قلبها
فيؤممها !

واحمد عبدالله ذاته وضع حدا لكل تحركات كريم
البصري بقوله :
— لا .

وضع حدا حاسما لكل آماله وتطلعاته واحساساته !
يبدو ان حزينا يا « احمد عبد الله » أوسع مما كنت
أتصور !

لكن المهم من منا سينتصر في النهاية ؟!
فاطمة لا تعرف بأن كريم البصري :
— لا نستطيع أن نثق بكل انسان .

لو كانت تعرف لما قالت :

— احمد اعطاني ورقة •

اذن .. الفرصة ما زالت سانحة ، والحرب لا زالت قائمة •

وان كان احمد عبدالله قد كسب الجولة الاولى

فالحرب جولات وجولات •

انحنى على اذنها ثانية • عانق عبير شعرها • احس برعشة لذيدة تجتاح جسده •

الرغبة في مضاجعتها • عجن هذا الجسد المتفجر انوثة

واثارة • ماذا لو اراها منظرحة على ظهرها • مستسلمة لي والنشوة ...

ثم همس :

— المدير — ايضا — يعرف • هل علمت بهذا ؟

جسدها ينتفض فزعا •

ما احلى لو انتفضت نشوة !!

ويجيء صوتها المرتعش :

— الأمر لا يخلو من خيانة !

أربع سنوات منذ هجرها زوجها ..

اما مارست الخيانة خلال سنوات الهجر ؟!

علاقتي بها لم تتطور الى الحد الذي ... فاعزف على

أوتار جسدها « النبع » أروع سمفونية عرفها الجنس !

تمتد أصابعها •

حلوة ! .. تؤكل !

تلقب أوراق ملف أمامها ، وصوتها أشبه بالمحموم :

— انظر الى هذا الملف !

ما أروع لو .. وبنفس بحة الصوت :

— متى تجيء الى بيتي يا كريم ؟

يشاركها النظر ، وتستطرد بحس مكتشف :

- الآن أدركت سبب التوظيف الاستثنائي !

تميل برقبته قليلا . أنفاسها تصافح وجهه . تداهمه
رغبة أن يهمس داخل شفثيها ، لا قرب أذنها .

- برغم عدم وجود « عدم محكومية » !

لكن التلفون الداخلي يرن .

- المدير !

ثم تلتفت الى الرجل الغريب :

- تم تعيينك فراشا للإدارة . ابدأ عملك منذ الآن .

« تواجد » عند باب غرفة المدير .

يرفع كريم البصري قامته . الظروف لا تخدمه حتى
نهاية الشوط .

نحن الآن في محضر رئيس السجنين !

الرجل الغريب يهم يخرج ، ولا يتمالك كريم البصري
نفسه ، فيقول بسخرية :

- خذ معك سلاحا !

الغريب ينظر اليه بحقد ، وفاطمة بخوف :

- احترس ! .. هو رئيس سجنين !!

المكان : غرفة المدير
 الوقت : الساعة الحادية عشرة
 الحالة : حوار ساخن
 الأشخاص : -
 ١ - كريم البصري
 ٢ - المدير

المدير : لماذا لا تجلس ؟!
 كريم البصري : « بسيطة »
 المدير : « اجلس يا اخي ... اجلس » !

.....

المدير : « تاخذ سيجارة » ؟
 كريم البصري : لا ... شكرا .
 المدير : اقترب بكرسيك ! .. لا اريد ان يسمعنا احد !

.....

المدير : اسمع استاذ كريم ! .. ليس لدي من اثق به
في هذا المصنع سواك .

كريم البصري : ارجو ان اكون عند حسن ظنك .
المدير : بل انت اكثر من ذلك . لهذا السبب ستكون
مساعدنا لي عند استحداث هذه الوظيفة .
ولعلمك .. كتبت الى المديرية العامة حول هذا
الموضوع .

كريم البصري : ارجو لثقتك ان تكون في محلها .
المدير : وللحقيقة .. انا بيني وبينك اعتبرك مساعدي
منذ الآن .

كريم البصري : شكرا
المدير : لكن الذي حز في نفسي ، وآلمني جدا انك
واحد من قادة الاضراب !

كريم البصري بدهشة : ابدا .. اقسم لك بشرفي ... لست
واحد منهم !
المدير : اذن ... من المحرضين عليه !

كريم البصري : لا والله !
المدير : من الراضين عنه ؟
كريم البصري : ولا هذا .
المدير : من العارفين به ؟
كريم البصري :
المدير : اظنك لن تنكر هذا ؟!

كريم البصري : اعتزالي العمل السياسي لا يعني جهلي بما
يدور حولي ، لكن معرفتي شيء ومشاركتي
الفعلية شيء آخر .
المدير : بل ستشارك به .

**يفاجأ كريم البصري . يقف بسرعة ، وعلى
فمه :**

: ماذا ؟ !!

المدير : اخفض من صوتك !

.....

المدير : اجلس !.. اجلس !

.....

المدير : « تاخذ سيجارة » ؟

كريم البصري : لا مانع ... شكرا .

**المدير : دعنا نناقش بعض النقاط بروح اخوية ،
واعصاب هادئة !**

**لكن كريم البصري ينفث دخان السيجارة
باضطراب .**

**المدير : دعنا نتفق على بعض النقاط ... هل هناك
تخطيط معين لاضراب معين ؟**

كريم البصري : هناك .

**المدير : الا تعتقد بأن تنفيذ مثل هذا الاضراب سيلحق
ضررا مباشرا باقتصادنا الوطني ؟**

كريم البصري : سيلحق .

**المدير : من هذا المنطلق اتوجه اليك بالحديث . من
كونك مساعدتي ، والمسؤول الاول والاخير من
بعدي**

كريم البصري لا ينفث الدخان باضطراب .

(الساعة الرابعة مساء)

في الماضي بحثت عن علاقة صميمية عبر ممارستي للعمل السياسي ، « لكن تساقطهم الدليل امامي » جعلني اكره ايام تعاملتي معهم .

اما الآن فالامر يختلف . هؤلاء عمال ، ولديهم فهم آخر للنضال . هم بحاجة لسياسي مثقف مثلي كي يتولى قيادتهم وتوجيههم .

لينين قال

سواء قال ، او لم يقل ، علام تدور هذه الافكار في ذهني ، وهم لم يسمعوا ولا كلمة من كلماتي؟! رفضوا تعاوني معهم؟!

- لا نستطيع الثقة بكل انسان .

لم يكلف نفسه عناء السؤال :

- من هو كريم البصري ؟

ولم يتردد :

- ما هو تاريخه السياسي؟!

الفبي ... ينبغي ابعادي عن مركز القيادة !

احلى سنوات عمري دفعتها ثمناً رخيصاً للعمل السياسي . سنوات شبابي قضيتها بين بطالة واعتقال وتشريد ، فهل المفروض بي هذه المرة ...

- استاذ كريم .. انا بصدد استحداث وظيفة جديدة .

مساعد مدير ..

- لا نستطيع ان نثق بكل انسان .

- ولعلمك .. كتبت الى المديرية العامة حول هذا

الموضوع .

- لا نستطيع ان نثق بكل ...

- ليس لدي من اثق به سواك .

- لا نستطيع ... نثق ..

- انت مساعدي منذ الان .

- لا نستطيع ...

- من هذا المنطلق اتوجه اليك . من كونك مساعدي ،

والمسؤول الاول من بعدي .

- لا

وحياتي برمتها كانت سلسلة متصلة من المتاعب والانتكاسات ، فهل المفروض بي هذه المرة ...

- مساعد مدير ...

لو انهم يستحقون المغامرة لما ترددت بالمغامرة على مستقبلي ، ووظيفتي الجديدة ...

- لا ادري . انا لا اعرف غير احمد عبدالله وجعفر

علي . احمد رفض ، وجعفر علي ظل صامتا .

ولكن ما بالي وهذا الصداع اللعين لم يرحمني !
وهذه الافكار المتضاربة تتصارع داخل راسي ، وتكاد
تشل قدرتي على التفكير !
احس بانني على شفا حفرة من الجنون !.. لاسكر ،
ولامت بعد ذلك .. والى جهنم وبئس المصير !!

بار حقير ، وعرق رخيص !
 خطا الى الداخل . المكان خال من الرواد .
 عادة .. يفدون بعد الساعة .
 النادل يبتسم . يقف .

— اهلا وسهلا .

كريم البصري يتفحص المكان . لا يحيي النادل . يتوجه
 ناحية ركن منزو .

وسط دوامة من الاحداث التي تفعل بي ، ولا استطيع
 الفعل بها .. كيف اجبر الكسر في حياتي ؟!
 النادل يقترب .

— « نص ربع عرق » !

النادل يبتعد .

« نص ربع » والساعة لم تتجاوز الرابعة والنصف ، ولم
 لا .. ما دام الصحو عذابي ؟!
 اليس الافضل لهذا الراس ان يظل مخدرا ؟!

الطعم اللاذع للعرق ، ويده تسارع الى اناء امامه . دس
شريحة الليمون في فمه .

لا شيء مهم . لن اغير وجه العالم !
رفع قنينة العرق . حدد عينيه عليها .
قبل استلامي لعملي الصحفي قال لي احد المسؤولين :

— كن حذرا في كتاباتك !

— لا افهم !

— اقصد ... اياك واثارة الاحقاد !

— احقاد !!

— ان تفهم بان كل الذي حدث بيننا وبينكم لم يكن
انتقاما او تصفية حساب ، وانما كان تنقية جو .

— افهم هذا جيدا ..

افرغ العرق المتبقي في كأسه .

العمل شيء ، والتعاون شيء آخر . وانا لحد الآن ..

وضع قطعة ثلج .

لكن موقف احمد عبدالله المتطرف :

— لا نستطيع ...

وجعفر علي :

— ...

وكاظم عبيد :

— ما كان بامكاني ...

واخيرا موقف المدير :

— سأرفع كتابا الى مديرية الامن ! .. لن تمر هذه

الليلة الا وهؤلاء الثلاثة في المعتقل !

المعتقل ... المعتقل ...

افرغ الكأس الثانية في جوفه .

— يا نادل !

- نعم .
- « نص ربع آخر » !
- حاضر .
- المعتقل ... وعندما تقدم عريف الشرطة :
- محمود السلطان !
- ماذا تريد ؟!
- تمال معي .
- الى اين تاخذني ؟
- الى جهنم !
- جهنم « تاخذ رأسك » !
- .. قتلني !! .. قتلني !
- من ضرب العريف ؟!
- انا .

فينهال اخمص البندقية على رأسه . يتهاوى على الارض ... بدمائه .

كاظم عبيد شبيه بمحمود السلطان . هما يكتبان الشعر الثوري ، وعاطفيان اكثر من اللازم .

النادل يضع القينة امامه . يمد يده اليها . يفتحها . يصب لنفسه قدحا .

نعم .. كاظم عبيد عاطفي ، ينفعل بسرعة . سيدخل مع رجال الشرطة في معركة جسدية ... تماما مثلما فعل محمود السلطان .

تجرع الكأس الثالثة .

- سيطرقون باب بيته .

- من ؟

- نحن رجال الشرطة .

- ماذا تريدون ؟!
- نريدك انت ... هيء نفسك بسرعة .
- اين ستأخذوني ؟
- الى جهنم .
- « جهنم تأخذ رأسكم » !
- كلب !!
- ثم يخطو احدهم صوب كاظم عبيد ..
- انا كذلك اكتب الشعر ..
- يضربه على ظهره باخمص البندقية ...
- مفعول الكؤوس الثلاثة بدأ يظهر على عينيه .
- يتقدم شرطي آخر . يضربه على رأسه هذه المرة .
- يتهاوى .. بدمه .
- يدور بعينه . يبحث عن النادل .
- يا نادل !
- نعم .
- « نص ربع » !
- حاضر .
- او .. اسمع !
- نعم .
- كم حسابك ؟
-
- ثم تجرع الكأس الرابعة بسرعة ، ونهض . احس انتشاء
- لذيذا ، وخفة متجددة في جسده .
- تذكر موعد عمله في الصحيفة .
- ايشفع لي ... انا فلان الفلاني اعلن براءتي من ...
- وساكون مخلصا لديني ووطني وقوميتي ؟!

يتجه ناحية الباب .

يلعن ابو الجريدة ! ... يلعن ابو العمل ! .. يلعن ابو
المدير ...

يستند الى الباب .

ويقول : « انا ايضا اكتب الشعر . قصيدة واحدة .
عبد الكريم قاسم . ستة شهور سجن .. »
يا كاظم عبيد ! ... يا كاظم عبيد ! ... سيطلقون باب
بيتك ..

- من ؟

- الشرطة .

يا كاظم عبيد «خذني في السفينة !» (١) ... يا كا ...
سأطرق باب بيته .
- من ؟

- انا كريم البصري اعلن براءتي من ...

(١) من قصيدة للشاعر سعدي يوسف

كانت الساعة تقارب الخامسة والنصف مساء عندما
دخل كريم البصري الى البار ثانية . اقترب هذه المرة من
النادل :

- « الله بالخير »

- اهلا وسهلا .

- « ربع عرق مسيح » اذا سمحت !

- حاضر .

ثم اتجه ناحية الركن الذي كان يجلس فيه قبل ذهابه
الى بيت كاظم عبيد .

الصديق وقت الضيق ، والعرق خير صديق ، وهذا
الرأس الحقيقير يجب ان يظل مخدرا الى الابد .

- اين العرق !؟

صرخ باعلى صوته، فاجابه النادل . وهو يسرع ناحيته :
ها هو ... ها هو ...

— ضعه امامي ! .. قربه اكثر ! .. اكثر .. « يلعن ابو الشغل ! »

صب لنفسه كأسا .

لاسكر ... واسكر ... واسكر ... والى جهنم وبئس المصير بكاظم عبيد ... وبغير كاظم عبيد !!

تجرع الكأس .

الكلب ! .. يفتح باب بيته . لا يقول :

— السلام عليكم .

بل يقول :

— انت سكران !

ابن الحرام ! .. اسألني :

— ما الذي جاء بك يا استاذ كريم ؟!

لكنه غبي ! .. كلهم اغبياء !! .. ينظر الي باندهاش .

— متى شربت ؟! .. نحن لم نغادر المصنع الا منذ ساعة!

متى تفهم .. متى يا .. انتم بسطاء .. سذج لا تعرفون

المعانة ولا الآلام النفسية . لا تعرفون بأنكم توجهتم الى

بيوتكم .. وأنا الى هذا البار !

— ولماذا فعلت هذا ؟!

يصب كأسا ثانية .

لا بد انك تعلمت التحقيق ايام الاعتقال ! .. غبي ! ..

لا يسألني :

— ما الدافع لهذه الزيارة غير المتوقعة ؟!

بل يسألني :

— متى سكرت ؟ .. لماذا سكرت ؟

لو اني تركته دون ان اقول له :

— صدر امر اعتقالكم ... الثلاثة ...

ولكن ما الفرق بين ان اقول او لا اقول ما دام لم
يصدقني؟! .. « ولا على السكران حرج » ...

الآن صدقني . صدقني تماما ، وخاصة بعدما اجتمع
الثلاثي الثوري في السجن .

رفع الكأس الى فمه .

سيدور بينهم حوار ..

— كريم البصري حذرني . لكني لم اصدقك !

— ليتنا وثقنا به منذ البداية !

فيجيبهما جعفر علي ، الذي تعود الصمت :

— لو اننا وثقنا به ... لما ...

ماذا يفيد الندم؟! .. ادفعوا ثمن تشكككم بنزاهتي! ..
كلكم اغبياء !

كلكم .. عدا انسانة واحدة .

— اعرف .. احمد اعطاني ورقة .

حتى الى هذه الانسانة الطيبة تسللت اصابعه !

— ... اعطاني ورقة .

وغدا رسالة غرام . انما اين الغد ؟ .. وفي معصمك
القيد !

— ليتنا وثقنا بكريم البصري منذ البداية !

الآن ، وبعد فوات الاوان تعرفون قيمة كريم البصري .

الفرح يتفرع داخل نفسه وهو يرسم صورة الحوار

الذي يدور بين احمد عبدالله وجعفر علي وكاظم عبيد داخل
المعتقل .

سيقول لهم كاظم عبيد :

— انا لم ارشحه للتعاون معنا جزافا . هو كادر في

الحزب . مرة قال لي : « ابرياء كثيرون ذهبوا ضحية

سياسة التنازلات التي مارسها حزبنا في عهد عبد الكريم قاسم» . هو يتكلم بمنطق الرجل المسؤول ، لكنكم شككتكم في نزاهته .

يملاً الكأس الثالثة .

فيجييه احمد عبدالله :

- ليتنا وثقنا به !

يأتي على ما في الكأس دفعة واحدة . المرئيات التي امامه لا تكاد تستقر بوضع معين .

مع المدير كان علي ان لعب الدور باتقان . والا لماذا خلق هذا الرأس المفكر ؟!

المصلحة العامة تقتضي ذلك . اعتقال الثلاثة لن ينهي الحركة . بل سيبدأ بها . سأذهب الى فاطمة ، وبمخطط علمي مدروس نمسك رأس الخيط . لينين قال ..
يبحث بعينه عن النادل .

- يا نادل !

- نعم .

- « نص ربع » !

- حاضر .

- او ... اسمع !

- نعم !

- كم حسابك ؟

★ ★ ★

خرج الى الطريق . الرياح الرطبة تصافح وجهه ، فتزيد من تداخل المرئيات ببعضها .

سأطرق بابها .

- من ؟

- انا اخوك كريم البصري .

- اهلا وسهلا .
- وستتردد قليلا ، ليس من السهل عليها ان تستقبل رجلا في بيتها دون مناسبة .
- ما الذي جاء بك في مثل هذا الوقت ؟
- الاضراب . العمال . حركتنا الوطنية .
- سترتسم الدهشة على وجهها .
- لا افهم !!
- هل علمت باعتقال كل من .. احمد عبدالله ، وجعفر علي ، وكاظم عبيد ؟!
- ستفاجأ :
- لا !
- ثم تنظر في عيني .
- لا يمكننا ان نظل على الباب ! .. ادخل ! ..
- ادخل !
- بها وحدها ابدا ، ومعها وحدها سارسم مخططا علميا
- مدروسا . سنكون وحدنا ... وحدنا ...
- وبرغم عدم اتزان خطواته فقد حثها .

توالت الطرقات على الباب فتبادلت فاطمة مع كاظم
عبيد نظرات سريعة فزعة .

- هل تتوقعين زيارة معينة ؟

فيصله جوابها محشرجا :

- لا .

- هل تتوقعين .. الشرطة ؟

- لا ادري .

الطرقات تعود تتوالى .

- هل رأك احد وانت تدخل البيت ؟

يجيبها كاظم عبيد :

- لا ادري .

الفرع . الحيرة .

- وما العمل ؟!

- لا بد من اختفائي في ...

ثم ينقطع همسه . حس الاكتشاف . يلتمع في عينيه .

- اين السلم ؟

- تعال من هنا !

كاظم عبيد ينفلت من الغرفة فيحتويه السلم . فاطمة
تتلفت حولها ، وكأنها تتأكد من عدم وجود ما يدينها لو ان
الطارق كان من رجال ...

- ها انا قادمة !

تسرع ناحية الباب .

من ؟

فيصلها الجواب غير متوقع بالمرّة :

- انا .. انا اخوك كريم البصري .

يدها تنصلب على مزلاج الباب ، وفي ذهنها تتجسد
علامة استفهام كبيرة :

ما الذي جاء به ؟!

- انا اخوك كريم البصري .

تتردد برهة . تطلق زفرة استياء . تفتح . فتصطدم
بابتسامته العريضة ، ووجهه المحتقن .

- مساء الخير .

-

عيناه جاحظتان ، وقدماه لا تكادان تثبتان على الارض .
لا ترد على مساء خيره ، تقول بانزعاج :

- انت مخمور !

فتضيع الابتسامة . تضيع الفرحة . تضيع الخطط
العلمية المدروسة .

- آسف !.. آسف جدا !.. ازعجتك !

- جدا .

هل يقفل راجعا ؟

- ماذا تريد ؟!

الهزيمة . اللعنة . الخسارة . التحدي . الذل .
بالرغم فلا بد من تبرير على الأقل .
- لي معك حديث مهم !

... -

- لقد اخذوهم الى السجن !

- اعرف .

كلمة .. « اعرف » .. اشبه بصفعة مدوية تسقط
على وجهه .

- اعرف .. احمد اعطاني ورقة .

هل يعود ؟! البار لا زال ! .. اهذا هو النضال ؟!
بعد ثوان « ستصفق » الباب في وجهه .
انا احبها واحترمها وهي ...
موجة حزن عارمة تجتاح صدره .

- هو حديث مهم !!

... -

القصة في فمه :

- مهم جدا !!

... -

الدموع تملأ عينيه :

- والله مهم جدا !!

تقرب ما بين حاجبيها . تنظر في عينيه لثوان . تفسح
له طريق الدخول .

★ ★ ★

يلقي جسده على اقرب كرسي . الهزيمة . الاحساس

بالخزي وكل ما في الغرفة من موجودات ينمحي ليعود ثانية
مغيرا حجمه ومكانه .

انا تعبان !

يحاول - جاهدا - ان يجمع شتات افكاره . هو
بأمس الحاجة لـ ...

- هل لديك قدح من عصير الليمون ؟

- لا .

المرئيات تدور . تتداخل ببعضها .

- قهوة ؟

- لا .

ينظر اليها . عيناه لا تثبتان على مكان معين من وجهها .
ابتسامة حزينة ترسم على فمه .

- انت الانسانة الوحيدة التي اعزها . نعم ..

انت الـ ...

فتقاطعه :

- هل جئت كي تقول هذا ؟!

ابتسامته تبهت .

- لا .

يصمت . عيناه تضيعان مع اشياء الغرفة . تفيمان .

- جئت كي اقول : « هم اعتقلوا » . لم يتيسر لي

الوقت لتحذيرهم جميعا . ذهبت الى كاظم عبيد أحذره ،

فضحك مني . قلت له : « كن على حذر .. الشرطة ! »

فاجابني صارخا : « اغرب عن وجهي يا جاسوس ! » انا

جاسوس يا فاطمة ؟!

- ...

- واحمد عبدالله . قبل ايام قلت له : « يجب ان

نكون يدا واحدة . لا بد من تعاوننا ! » . فاجابني : « احرص

يا جاسوس ! « . بماذا ارد عليه ؟ .. انا جاسوس يا فاطمة ؟!

- ...

يقرب راسه الى امام قليلا .
- ابعد سنوات النضال والسجن والتعذيب اتحول الى جاسوس ؟! مجرد جاسوس حقير!! . وجعفر علي مثلهم ايضا ، لكن الذنب ذنبي ! نعم . الذنب ذنبي لو اني رضيت بالمنصب الذي عرض علي لاجبرتهم على احترامي . يتوقف لثوان . يسحب ل صدره شهيقا عميقا ، يطلقه زفرة .

- « لديك ليمون ؟ »

- لا .

- هل تعلمين بان المدير ارسل في طلبي عشرات المرات؟! « اسمع استاذ كريم .. انا بحاجة لانسان مثقف مثلك لكي يتسلم مهام منصب مساعد مدير .. »
« يا سيدي المدير .. المبادئ لا تباع . ولا تشتري »
يضيق ما بين جفنيه .
- « لديك قهوة ؟ »

- لا .

- اليوم . « تصوري » .. صباح اليوم ارسل علي ... « استاذ كريم .. انا بصدد ترك هذه الوظيفة فما رأيك ؟ » اجبته : « لا رأي لي » . فيبتسم . « هل ترغب بتولي مهام منصبي ؟ » . « لا » . فيتوسلني : « لماذا لا ؟! انت انسان مثقف وجدير بهذا المنصب . نحن بحاجة اليك !! » « يا سيدي المدير .. المبادئ لا تباع ،

ولا تشتري « ويقولون عني « جاسوس » .. أنا جاسوس
يا فاطمة ؟!

... -

- لو كنت جاسوسا لما ذهبت الى كاظم عبيد أحذره!
لكنهم أغبياء! .. كلهم أغبياء باستثنائك انت ...
يزحف بكرسيه الى أمام . يخفض من صوته :

- « عندك شاي » ؟

- لا .

- المدير عارف بكل شيء . صباح اليوم : « استاذ
كريم .. هل علمت بأمر الدعوة المشبوهة للاضراب ؟ » .
فتصنعت الدهشة : « اضراب !! » « نعم .. اضراب في
مصنعنا .. » « لم أسمع بشيء من هذا القبيل ! » يمد
يده الى درج مكتبه . يخرج ورقة يدفعها الي . « خذ اقرا »
كانت قائمة بأسماء العمال المحرضين على الاضراب . احمد
عبدالله . جعفر علي . كاظم عبيد . وفاطمة .

الاشمئزاز على وجه فاطمة .

- أنا ؟!

فيجيبها بقناعة وايمان :

- نعم انت .

فاطمة تبتسم .

- ابتسمي . اطمئني . قري عينا . ولكن من هو
صاحب الفضل الاول والآخر في ابعاد الشبهات عنك ؟!

- كريم البصري .

- بالضبط . لهذا السبب أقول .. فاطمة افضل
الجميع واذكاهم .. نعم افضل الـ ...

- تسود ثواني صمت ، لاحظت فاطمة خلالها ان الاجهاد
 بدأ يظهر على وجه كريم البصري بأشد .
 عيناه ما عادت تقويان على التحقيق في شيء معين .
 جفناه ينشدان الى بعضهما ، فيبدل جهدا جبارا كي يفتحهما .
- ألا يوجد لي.....هون ؟
 - لا .
 - قهو.....وة ؟
 - لا .
 - ش .. شاي ؟
 - لا .
 - أي منبه ؟
 - لا .
 - أنا .. أنا ..
 - أنت بحاجة الى ماء بارد .
 ينفض رأسه .
 - ماء ؟!
 تنهض من مكانها . تقترب منه .
 - تعال معي .
 الخوف في عينيه .
 - الى اين ؟!
 - الى حنفية الماء .
 - ل .. ل .. لماذا ؟
 - لكي تصحو .
- تمسك ذراعه . ينظر الى أصابعها . يتسم . يحرك
 يده الأخرى . ولا يجرؤ على اللمس .
- اصابعك حلوة !

- هيا بنا •
- يستسلم • ينهض برفقتها •
- لا بد أن أضع حدا حاسما لحياة العزوبية !
- ••••
- لو كنت متزوجا !
- ••••
- ما رايك لو أتزوج !
- كانا قد وصلا حنفية الماء •
- ضع رأسك تحت الحنفية !
- حسنات الزواج أكثر من سيئاته •
- ••••
- بل هو من غير سيئات •
- ضع رأسك تحت حنفية الماء !
- حاضر • حاضر • أنت امرأة عظيمة !
- يتدفق الماء • كريم البصري يتأوه •
- سينعشك الماء •
- والله أنت أروع امرأة عرفتها !
- هل تشعر بتحسن ؟
- انت أروع امرأة في العالم !
- ••••
- محظوظ من يتزوجك !
- خذ • جفف شعرك •
- تناوله منشفة •
- كيف حالك الآن ؟

- أنت أروع النساء على الإطلاق !
- هل زال الدوار ؟
- يحدق في وجهها
- لماذا تظني بأنني سكران ؟
- أنت بحاجة لأن تنام .
- لن أنام قبل أن أضع حدا حاسما لحياة العزوبية .
- « أنت لا تعلمين » .. هي جحيم لا يطاق !
- هيا .. اذهب الى بيتك . انا - أيضا - متعبة .
- يدها تدفعه بلطف نحو الباب .
- نسيت الأمر الذي جئت من أجله !
-
- يقف . يستدير . وجهه اليها .
- بالنسبة للجماعة !
- الجماعة ؟!
- اخواننا العمال !
- دع موضوعهم الآن .
- الأمر مهم !
- انا متعبة جدا .
- اذن ... سأعود اليك ثانية .. يجب ان نتحدث
- عن الموضوع بالتفصيل ... علينا انا وانت .. انا وانت
- بالذات ان نتصرف بسرعة .
- يدها - ثانية - تدفعه . تفتح أمامه الباب .
- توجه الى البيت مباشرة !
- البيت ؟! .. كيف ؟! .. الا تعلمين ... هناك
- الشرطة ... هم بانتظاري ...

الزايو
اليوم الأول

- سيدي .. أنا صاحب عائلة . زوجة ، واطفال .
((ابني الكبير)) مات في الحرب . وأنا بلا عمل !

-

- خبرتي في ميادين السجن والمساجين . لكني لن
أمتنع عن ممارسة أي عمل .

-

- سبع عشرة سنة رئيس سجانين ، وسبع سنوات
قبلها كنت سجاناً فقط .

-

- نعم هي خبرة طويلة . غير اني ارتكبت خطأ جلب
علي غضب مدير السجن . المدير ضربني ، فضربته ، ثم
سجنني ، وطرمني من عملي . لم أسجنه ، ولم أطرده من
عمله .

-

- لا ... أنا لا أجد القراءة والكتابة . لكن ابني
الأكبر استشهد في سبيل الوطن .

- أنت كبير السن ، ولا تجيد القراءة والكتابة ،
وبالإضافة الى كل هذا محكوم سابق . سجين لسبب غير
سياسي . فماذا أستطيع أن أفعل لك ؟!

هذا ما قاله مسؤول التوظيف في المديرية العامة
بالامس ، وأضاف ازاء الحاح الزاير :

- لا أدري !.. أنت تحيرني ، وتزعجني !

ثم عاد يتصفح الملف .

- اسمع !.. خذ هذه الورقة . اذهب الى هذا
العنوان . مدير المصنع بحاجة الى فراش . فاذا رضي ان
يستخدمك لديه ، وهذا احتمال بعيد . الوظيفة تحتاج الى
شاب يعرف القراءة والكتابة على الأقل .

وبينما كان الزاير يهم ينصرف يصله صوت الموظف :

- تعال .. خذ ملفك معك . ان لم يستخدمك مدير

هذا المصنع فالأفضل لك مراجعة جهة أخرى . . مديرة
ثانية . . أنا لا أستطيع مساعدتك أكثر مما فعلت .

★ ★ ★

اذن فالقضية قضية هذا المصنع ، وهذا المدير !
وفجر اليوم . . معك زوجتك تتحرك باهتمام ، عليها
أن تظهرك بالمظهر المناسب . الهندام . الشوارب . والحذاء
الذي يرفض يلمع .

— « الله معك » .

المدير قبل دقائق مر الى جانبك . أنت — عن لاوعي —
وقفت باستعداد . هو لم يعرك اهتماما . وبالرغم فانت
تحس بأن كل شيء ممكن .

لم يتردد الزاير كثيرا . اقترب من باب غرفة مدير
المصنع ، وبهدوء مد يده الى الأكرة ، وبالثانية .. طرقات
مستحبة . صوت المدير من الداخل :

- ادخل .

يدخل الزاير بخطوات منتظمة . وفي منتصف الغرفة
يقف . ثم تدوي تحية عسكرية .
دهشة ضاحكة تتجسد على وجه المدير .

- ماذا تريد ؟!

الزاير : انا الفراش يا سيدي .
المدير يعقد حاجبيه :

- فراش !!

الزاير يرخي يده المصلوبة - بالتحية العسكرية -
ينحني بنصف جسده الأعلى الى أمام قليلا .
- انا طالب وظيفة الفراش يا سيدي .

- وماذا تريد مني ؟!

-

- المديرية العامة هي التي تتولى أمور التعيين !

- هم قالوا : « خذ معك هذا الملف ، واذهب الى... »

يتقدم . يضع الملف على المكتب . تحت عيني المدير .
يرجع الى الورا خطوتين نظاميتين ، ويأخذ وضع الاستعداد
ثانية . المدير لا يمنع نفسه عن أن يتسم . يبدأ يتصفح
الملف وهو يقول :

- انت تكاد تصل سن ...

ويتوقف عن الكلام فجأة . الاهتمام يرتسم على وجهه
وهو يقرأ :

- الوظيفة السابقة .. رئيس سجانين ..

- نعم سيدي .

يرفع عينيه الى الزاير .

- لماذا تركت وظيفتك هذه ؟!

وقبل سماعه الرد بقول :

- ملفك ناقص .. تنقصه شهادة عدم محكومية !!

الزاير - مرة أخرى - يرخي يده المصلوبة بالتحية
العسكرية . يمدّها الى جيبه . يخرج ورقة . يتقدم .
يدفع بالورقة .

- حاولت الحصول على عدم محكومية فاعطوني هذه !

المدير يتناول الورقة . حاجباه يرتفعان .

- هذه شهادة محكومية !

- نعم سيدي .

- أنت سجنّت ستة أشهر !

- نعم سيدي .

يضع الورقة . يتناول غليونيه . ينفث الدخان وعيناه على وجه الزاير .

— انت سجنان وسجين نفس الوقت !

— نعم سيدي .

— ولماذا سجننت ؟

— ضربني مدير السجن .

— ضربك . ثم سجنك . غير معقول !!

— أسأت التصرف ، فضربني .

— لا بد أنك كنت في حالة دفاع عن النفس !

— لا أفهم يا سيدي !

— أعني . . أنك ضربته مثلما ضربك !

— لا يا سيدي . . لكنني منعتة عن أن يضرب أحد

السجناء .

الاهتمام يتزايد على وجه المدير .

— ولماذا منعتة ؟

— لأن السجن خطر . قاتل شخصين . محكوم

بالأشغال الشاقة المؤبدة . خشيت أن يجن جنونه فيهوي

على رأس مدير السجن بالمعول الذي في يده .

— معول ؟!

— السجن كان يؤدي حصته اليومية من الأشغال

الشاقة . يحفر الأرض ويردمها .

المدير ينفث دخان غليونيه .

— وبعد ؟

— اقترب المدير من السجن . كنا في جولة تفتيشية .

اقترب منه ، وقال : « الشكاوى كثيرة ضدك . أنت مشاغب .

لماذا اعتديت بالضرب على زميل لك في المطعم صباح اليوم ؟! »

فأجاب السجن بانزعاج : « لم أضرب أحدا . لست مشاغبا »

مدير السجن غضب من اجابة السجين . اقترب منه . رفع يده كي يصفع السجين . أنا اعرف السجين جيدا . عاشرته عشر سنوات . هو عصبي . مجنون . لن يتورع عن ضرب المدير بالمعول الذي في يده . قفزت بسرعة . صرت بينهما . صفة المدير سقطت على وجهي بدلا من وجه السجين . المدير لا يمنع نفسه عن الابتسام ، فيستطرد الزائر ، والحماس واضح على وجهه :

- المدير غضب من تصرفي . صفعتني ثانية وثالثة . الفكرة التي كانت تشغل ذهني هي ابعاده عن معول السجين . احتضنته من « حزامه » . حملته بين ذراعي مشيت به . الابتسامة تتسع اكثر على وجه المدير .

- هو . . اعتبر تصرفي اعتداء على شخصه . قدمني لمحاكمة عسكرية . سجنتم ستة اشهر ، وفصلت من عملي . المدير ينفث دخان غليونه بتلذذ :

- لكن وظيفة فراش بالنسبة لرئيس سجانين سابق . . . الفرحة تلتصق في عيني الزائر :
- المهم يا سيدي ان اعيش .

الخطبة نجحت، وها أنت - أخيرا - اخذت برأي زوجتك :

- اياك ان تقول : « بعدما صفعني مدير السجن اعدت له الصفعة »

- وماذا اقول اذن ؟!

- قل لهم : « اسأت التصرف فضرمني مدير السجن »

- كيف ؟!

- بدلا من ان تقول : « منعت مدير السجن عن ضرب

حميدة حبا بحميدة » قل لهم : « منعته مخافة ان يقتله حميدة » .

مدير المصنع كان طيبا . استمع الى الرواية دون ان يشكك بصحتها . لكن « رئيس سجانين » تبقى اشبه بالقدر الذي يلاحقك .

السكرتيرة بهتت . فزعت .

- انت ماذا ؟!

الملف يرتجف في يدها . لها حق . هي امرأة . وازاء
فزعها افلت لسانك :

— انا ضربت مدير السجن :

اللعبة كادت تتكشف لولا ..

— ((عفوا)) ... اقصد .. اسأت التصرف فضرمني

مدير السجن .

من يدري ؟! .. لعلها تذهب الى المدير :

— من هذا الرجل المفزع الذي ارسلته الي .. وظيفته

السابقة رئيس سجانين ، ويقول : « انا ضربت مدير

السجن » !!

ولو ان الامر وقف عند هذا الحد لهان ، لكن الرجل

المهندم الذي دخل الغرفة فجأة تبادل الهمس مع السكرتيرة .

قالت له :

— الأمر لا يخلو من خيانة .. أنظر الى هذا الملف !

واخذا يتصفحان اوراقه .

— الان ادركت سبب التعيين الاستثنائي !

وبعدما قالت لي :

— ابدا عملك الآن !

قال لي الرجل بسخرية واحتقاد :

— خذ معك سلاحا !

يبدو انهما — لسبب ما — يكرهان المدير .

— احترس ! .. هو رئيس سجانين !

الزايرو
اليوم الثالث

يومان ، واليوم هو الثالث . في اليوم الاول كانت
الفرحة ، ومنذ الثاني شعور بالغربة .

لماذا هكذا ؟!

العمال . جميع العمال يتحاشونه .

- السلام عليكم .

بود متفتح يقولها لهم .

- اهلا .

تصله اشبه بزمجرة ، فتموت ابتسامة التعارف على

فمه .

انا لم افعل شيئا يفضيهم !!

وفاطمة .. حتى فاطمة تتحاشى النظر اليه . عشرات

المرات دخل غرفتها حاملا اليها او منها الاوراق وفي كل

مرة ..

مرجبا .

- ...

ولا مرة ترد . هو يعزها . والله يعزها كثيرا .

— لم افعل شيئا يفضيها !!

لعل السبب يعود الى هذا ...

اللعين .. امين المخزن . منذ أن همس في اذنها

وهي

وهي ... لكن كريم البصري بداني بالتحية هذا

الصباح ! .. انا لا اثق بابتسامته ، وبالرغم فقد قال :

« صباح الخير » لم ارد عليه ، « كاني لم اسمع » . فكيف

سأذهب اليه الآن ؟ !

المدير قال له قبل قليل :

— الاستاذ كريم يرغب بالتحدث اليك حول بعض

الامور ... اذهب اليه حالا ، وخذ معك هذه .

ثم ناوله ورقة صغيرة مطوية .

الزائر لا يطرق الباب . يدخل . يقف في منتصف
الغرفة . دهشة منزعجة ترتسم على وجه كريم البصري .

— لماذا لا تقول : « السلام عليكم » ؟

— السلام عليكم .

لكن كريم البصري يقول بجفاء :

— ماذا تريد ؟!

الزائر يخطو الى امام . يدفع اليه بالورقة المطوية .

— ما هذا ؟!

يفتح الورقة يقرأ بهمة :

استاذ كريم . . . بناء على الاتفاق الذي تم بيننا ارسل
لك الزائر

المدير

يمزق الورقة تفتا صغيرة . يبذل جهدا كي يبدو
طبيعيا .

- المفروض بك ان تحترمني !

- انا احترمك .

يمد كريم البصري يده الى علبة سجائره .

- وان تحبني !

-

- انا لا انكر بانني اغضبتك عندما قلت قبل يومين ونحن

في غرفة السكرتيرة : « خذ معك سلاحا » لكنني ما قصدت

اهانتك هو مجرد تكتيك .

- تكتيك !!

انت لا تفهم هذا . المهم . انا ما قصدت اهانتك .

وصباح اليوم بالذات تباحثت مع السيد المدير حول موضوع

زيادة مرتبك .. اجلس !

- لماذا ؟

- كي نتحدث .

- قد يحتاجني السيد المدير !

- المدير هو الذي ارسلك لي .. اجلس !

الزائر يتردد . يتفحص الغرفة . يتجه ناحية اقرب

كرسي . ثم يجلس بطرف عجزته . كريم البصري :

- وظيفتك السابقة رئيس سجانين .. اليس كذلك ؟

- نعم سيدي .

كلمة « سيدي » تल्प من الجو اكثر .

- اتدري لماذا استخدمناك انت بالذات ؟

-

لأننا نثق بك .. نستطيع الاعتماد عليك .

- انا تحت امركم .

- ما دمنا متفقين على التعاون اذن .. يمكننا الدخول
في الموضوع مباشرة .
.....

- هناك امور تخريبية تحدث في الخفاء داخل المصنع .
دعوة للاضراب .. هل سمعت بهذا ؟
- لا .
- هل عرفت باعتقال احمد عبدالله وجعفر
علي ؟

- لا .
- اظنك تعرف كاظم عبيد ؟
- لا .
انزعاج صغير يصاحب صوت كريم البصري :
- كيف لا تعلم بكل هذه الاشياء وانت موجود داخل
المصنع ؟!

- انا غريب .. وجديد على العمل .
تسود ثواني صمت . يتململ خلالها الزاير ، وكأنه يهم
ينصرف .
- اسمع ... المفروض بنا انا وانت والسيد المدير ان
نكون يدا واحدة .
- انا تحت امركم .

يضع كريم البصري عينيه في عيني الزاير .
- الذي اريده منك بالضبط . اختلط بالعمال ،
والتقط منهم الاخبار . كل الاخبار التي تدور حول الاضراب ،
ووافني بها اولا باول . انت الرجل الوحيد الذي نستطيع
الاعتماد عليه .
.....

- وكن على حذر ، لا تكشف نفسك لأي مخلوق !
-
- الاخبار لي فقط ، ولا تشغل بال السيد المدير بأي
- خبر .
-
- يمد يده داخل جيبه . يخرج محفظته .
- خذ .. هذا الدينار لك .
- كيف ؟! .. ما هذا يا سيدي ؟! .. لا .. لا ..
- هو مجرد اكرام بسيط .
- الزائر يقترب . يتناول الدينار .
- « زاد الله نعمتك »
- لا يغيب عن بالك .. الاخبار لي وحدي .
- وحده .
- وان سألك المدير عن شيء . قل له : « لا اعرف . لم
- اسمع » مفهوم ؟
- مفهوم .
- وابتعد قدر الامكان عن السكرتيرة ، هي تتعامل مع
- المضربين .
- مفهوم .
- الزائر يتحرك لينصرف ، لكن صوت كريم البصري
- يستوقفه هامسا :
- هناك سر اياك ان تصرح به لأحد .. السلطات تثق
- بي اكثر من ثقتها بالمدير .
- مفهوم .

وضع الدينار في جيب قميصه ، ولم تواته فكرة ان
يتحسسه ليطمئن عليه . هو يكره « كريم البصري » .

— خذ معك سلاحا .

— منذ لقائهما العابر في غرفة فاطمة وهو ينظر لكريم
البصري بتوجس حاقد . اما الآن ...

وقد اعطاني دينارا ..

— مجرد اكرام بسيط .

وتحدث الي بود ..

— اجلس !

طالباً مني ...

— اختلط بالعمال . التقط منهم الاخبار .

اذن .. القضية خطيرة .

هو يطلب مني ان اكون جاسوسا !

— انا والسيد المدير نثق بك .

لكنه مع فاطمة :

— خذ معك سلاحا .

وقتها فهم الزاير بأن كريم البصري وفاطمة يكرهان المدير .

— لا بد من وجود احد الخونة . الآن ادركت سبب التوظيف الاستثنائي .
.. احترس ! .. هو رئيس سجانين !
وبينهما :

— اياك ان تثق .. ابتعد قدر الامكان عن السكرتيرة .
هي تتعامل مع المضربين .

الامور اختلطت على الزاير . احس نفسه عاجزا عن ايجاد تبرير لتصرفات كريم البصري .

— الاخبار لي وحدي . لا تزعج السيد ... السلطات تثق بي اكثر من ثقتها بالمدير .

لماذا انا بالذات ... اختلط بالعمال . التفت
الاخبار ؟!

★ ★ ★

واذناه تلتقطان همسات العمال ، وهو في طريقه الى المقصف :

— انظر اليه ! .. هو رئيس سجانين !

— المدير عينه حارسا خاصا له !

— سيستعين به لضرب العمال .

— انظر الى وجهه ! هو مجرم عريق !

وتكاد يد الزاير ترتفع الى وجهه لتحسسه . وتتملكه رغبة لأن يصرخ في وجوههم :

— انا مطرود من وظيفة رئيس سجانين لاني ضربت مدير سجن ...

وفي مرة .. يستجمع شجاعته . يقترب من عاملين يتهاوسان .
كان بصدد :

— ...

لكنهما يسارعان بالابتعاد .

ماذا افعل ؟!

القهر يتكدس داخل صدره . كريم البصري أعطاه دينارا .

لو انه قال لكريم البصري : لا ، ولا ، ولا ..

لانتهى به الامر الى الشارع ثانية .

لا سبيل امامه غير ...

— حميدة (١) .. يفهم في هذه الامور .

(١) حميدة ... هو الشخصية المحورية لرواية
« المستنقعات الضوئية » سجين محكوم بالاشغال الشاقة المؤبدة .

اثناء تناوله طعام الغداء سألته زوجته :
 - ما بك ؟

- لا شيء .. « تعبان فقط »

خشي ان يطلعها على ما يدور في رأسه فتثنيه عن
 الذهاب الى السجن لمقابلة حميدة .

الفكرة بحد ذاتها « جاسوس » تكاد نخنقه .

طيلة حياته السابقة . من سجان الى رئيس سجانين
 الى سجين ، لم يقم بعمل لا يرضاه ربه . ياما عاشر مدرء
 سجون ، ومساجين مشاغبين ، قتلة ، لكنه ولا مرة وشى
 بأحد .

كان - دائما - يتصرف بوحى من مسؤوليته . وهو
 - ايضا - لا يريد ان يعود - ثانية - الى الشارع .

- سيدي انا صاحب عائلة . زوجة .. اطفال . بحاجة
 الى عمل اعتاش ...

وفي نفس الوقت لا يريد :
 - اختلط ... التقط ...
 والعمال ، هو لا يكرههم . بل يكره كريم البصري .
 حميدة يفهم في هذه الامور .
 وانا بالرغم من كل شيء رجل ...
 اصلي اصوم .. وابني استشهد في سبيل الوطن ...
 « ولا تجسسوا . ولا يفتب ... »
 حميدة وحده يستطيع ان ...

★ ★ ★

كانت الساعة تقارب الرابعة مساء عندما خرج الزاير
 من بيته متوجها الى السجن .
 اشترى فاكهة بنصف من دينار كريم البصري ، وعند
 البوابة الرئيسية استقبله رؤوسه السابق عيسى بود .
 « ايام العز ! »
 اخذه بالاحضان . وترقرقت دمعة صغيرة .

- اهلا برئيسنا ! كيف الحال ؟
 - هل استطيع مقابلة حميدة ؟
 - « طلبك في العين » .
 وفي غرفة صغيرة يقسمها شبك حديدي الى نصفين .
 - اهلا برئيسنا السابق !
 حميدة وعلى فمه ابتسامة عريضة يمد يده من فتحة
 صغيرة في الشبك ويحتضن يد الزاير .
 - ما هي اخبارك ؟
 -
 - الا ترغب بالعودة الينا ؟

الحزن الذي كان يطل من عيني الزاير يتضاعف وهو
يهمهم :

- لن تتغير !

الاهتمام على وجه حميدة :

- أنت حزين . ماذا حدث ؟!

الحيرة . من اين يبدأ ؟!

- انا ... انا حصلت على عمل .

- عرفت .. وشكرا على الهدية التي اوصلها عيسى

لي .

- اشتريت الفاكهة بنقود رشوة اعطيت لي .

حميدة وهو يتسم :

- منصبك خطير كما يبدو !

الحزن اكثر في عيني الزاير :

- انا فراش .. ارجوك لا تسخر مني !

- آسف « ما كان قصدي !

يسود الصمت لفترة قصيرة .

الزاير : انا قادم اليك بامر هام .

.....

وضع حميدة يده تحت ذقنه ، وطلق يستمع .

★ ★ ★

.....
السابقة رئيس سجانين « .. « ملفك ناقص .. تنقصه
شهادة عدم محكومية ! « فاعطيه الورقة التي لدي ..
« أنت سجان وسجين .. لماذا سجنتم ؟ « .. « أسأت
التصرف فضربني مدير السجن « ..

حميدة يتسّم ، والزائر يبرر :

— لا مفر من الكذب . والا لما عينت . هو صدق كل
الذي قلته له . « لكن وظيفة فراش بالنسبة لرئيس
سجانيين ! .. خذ ملفك الى السكرتيرة » اخذته اليها . هي
دهشت . « انت ماذا ؟ ! » بدأت تتصفح الملف باهتمام عندما
دخل امين المخزن .. كريم البصري ، وبدأ يهمس في اذنها .
سمعتها تقول : « الامر لا يخلو من خيانة ! .. انظر الى هذا
الملف ! .. الآن ادركت سبب التوظيف الاستثنائي .. »
وقبل خروجي قال كريم البصري بسخرية : « خذ معك
سلاحا ! » لكن فاطمة حذرتة : « احترس ! .. هو رئيس
سجانيين ! »

حميدة يعقب :

— وظيفتك السابقة صارت شؤما عليك !

الزائر لا يستوعب ما قاله حميدة . الموضوع الذي في
ذهنه يشغله تماما .

— الذي يحيرني هو موقف كريم البصري . وفي اليوم
الأول أدركت بأنهما يكرهان المدير .
حميدة يعقب :

— ها انت تفهم بصورة جيدة .

الزائر لا يستوعب ما قاله حميدة . الموضوع الذي في
ذهنه يشغله تماما .

— وصباح اليوم تغير الامر . ارسلني المدير بورقة
الى كريم البصري .

« المفروض بك ان تحترمني ... تحبني .. اجلس .
استخدمناك لأننا نشق بك . هناك امور تخريبية تحدث في

الخفاء داخل المصنع . دعوة مشبوهة للاضراب . هل علمت
باعتقال احمد عبدالله وجعفر علي . الاخبار لي وحدي فقط
اختلط بالعمال . التقط الاخبار . اذا سالك المدير فانت لم
تسمع . السلطات تثق بي اكثر من ثقتها بالمدير . ابتعد عن
فاطمة . هي تتعامل مع المضربين . خذ هذا الدينار . هو
اكرام بسيط . . »

اطلق الزاير زفرة ارتياح بعدما القى بكل الذي لديه،
وطفق ينظر الى قم حميدة منتظرا .

- « معك سيجارة » ؟

- « سيجارة لف »

- « لا بأس . هات واحدة ! »

تناول حميدة السيجارة ، وسحب منها نفسا عميقا .

- « انت متورط »

- . . .

- هم لم يعينوك الا من اجل الاستفادة منك . لا مفر
امامك غير التجسس لصالحهم .

- وكريم البصري ؟!

- كريم البصري . . . كريم البصري . . .

حميدة يردد الاسم ، وكأنه يبحث داخل ذاكرته وفجأة:

- اسمه ليس غريبا علي . هو على ما اظن احد
الصحفيين الذين ينظرون للسلطة .

يسحب ل صدره نفسا عميقا آخر ، ثم ينظر الى ما
تبقى من السيجارة .

- « لف لي سيجارة ثانية ! »

الزائر ينشغل بأعداد السجارة . بينما تشرد عينا حميدة في العقب الذي بين أصابعه .
- الآن تأكدت ... قبل سنة ... أيام كنت انت رئيسنا ...

فيقاطعه الزائر :

- « وما دخلي أنا ؟! »

- « اشش »

يلوذ الآخر بالصمت .

- أيام مدير السجن السابق ، عندما كانت الصحف تدخل السجن .

- الصحف !.. السجن !.. لا أفهم ما تقول !!

ثم يدفع اليه بالسجارة . حميدة يشعل الجديدة من عقب الأولى .

- بل هو من الصحفيين الذين ينظرون للسلطة ، ولا مانع لديه من التعامل مع الشيطان .

- لا أفهم ما تقول !

لكن حميدة ينفث الدخان ، ويعود ينظر الى عقب السجارة .

- هل لديك الكثير من التبغ ؟

- لا .

- « لف لي سيجارة أخرى ! »

الزائر ينشغل بأعداد السجارة ، وبعدها ينتهي ، لا يناولها لحميدة بل يضعها بين شفتيه .

- « نارك » !

فيناوله حميدة العقب دون ان ينظر اليه . كان يهمهم :

- في العمل كما في الصحافة .. هو يلعب على الحبلين .

- لا افهم !!

عينا حميدة تعودان الى وجه الزاير .

- اين السيجارة ؟

- الآن .

- اسمع !.. المفروض بك أن تكون اذكى من كريم

البصري .

- كيف ؟!

حميدة لا يجيب على تساؤل الزاير ويستطرد :

- ستذهب غدا الى المدير .

- المدير ؟!

- ثم الى فاطمة .

- لماذا ؟!

- اين السيجارة ؟

- ها هي .

يتناولها حميدة ، وعلى فمه ابتسامة مشجعة .

- لا اخفي عليك . وضعك خطير . لكن فاطمة

ستوجهك .

- فاطمة لا تثق بي ... انا « رئيس سجانين » !

يصمت حميدة برهة .

- لك حق . هل معك قلم وورقة ؟

- من اين اجيء بها ؟!

- اذهب الى عيسى واطلبهما منه بسرعة .

- لماذا ؟!

- اسرع !.. لا وقت لدينا .

غادر الزاير السجن . ومد يده هذه المرة الى جيب قميصه . هناك نصف دينار .
فاكهة الأولاد .

والى جانب النصف دينار تستقر الورقة التي كتبها حميدة .

- خذ هذه الرسالة الى فاطمة !.. ستفهم كل شيء
بن طريقها .

- حميدة !.. أنت تحيرني !!

- هل معك سيجارة ؟

- معي ورق لف فقط .

فيبتسم حميدة .

- هل تثق بي ؟

- لهذا السبب جئتك .

- انت لن تفقد شيئا . لكنك ستكسب نفسك .

– لا أفهم !!

– ستكسب العمال .

أمور كثيرة لا زالت غائمة امام عيني الزاير ، لكن ثقته
بحميده دفعته لان يوسع من خطواته .

فاكهة الأولاد .

ebooks4arabs.blogspot.com

الزايير
اليوم الرابع

- يا سيدي المدير !.. انت ولي نعمتي ، وصاحب
 الفضل الأول والأخير في توظيفي . أنت أغرقتني بفيض من
 كرمك وطيبتك ، فكيف تسول لي نفسي أن أخدعك !!
 - تخدعني ؟!

- يا سيدي المدير !.. انت ارسلتني بالامس الى امين
 المخزن . امين المخزن استقبلني بترحيب حار . اجلسني .
 اعطاني سيجارة ، وبدا يحاول استمالتي اليه .
 - استمالك اليه ؟!

- اعطاني دينارا !.. «مصرف للولاد» .. وقال لي:
 « اختلط بالعمال .. التقط الاخبار وزودني بها اولاً باول .
 اياك أن تزود المدير بأية معلومات » .
 - ماذا ؟!

- واذا سالك المدير عن شيء فقل له : « لم اسمع .
 لا ادري » وابتعد قدر الامكان عن السكرتيرة .

- شكى كان في محله . كريم البصري لا زال مخلصا
لمبداه الهدام .
- قال لي : « السلطات تثق بي أكثر من ثقتها بالمدير »
- اذن .. هو يلعب معي لعبة مزدوجة !
- ثم أعطاني دينارا آخر ، وقال : « اذا جئتني
بالمعلومات فسوف ... »



أحس الزاير بالاجهاد يسري في قدميه وساقيه ورقبته
جراء وقفته الطويلة .
منذ أكثر من نصف ساعة وهو يقف وسط الغرفة ،
ورأسه يتابع السيد المدير الذي كان يذرع الغرفة جيئة
وذهابا . وجه المدير كان مسرحا لانفعالات شتى . الدهشة .
الغضب . الفزع .

- شكى به في محله !
- يتوقف بعض على غليونه .
- وثقتي بك في محلها .
- يعاود المشي ، وهو يتمتم :
- خطة محكمة . يسحبون البساط من تحت قدمي
دون ان اشعر . فأجد نفسي فجأة في الاضراب .. « ارسل
لي الزاير ، وساحاول الاستفادة منه . سيزودنا بالمعلومات
التي تنقصنا » .. ثم .. « واذا سالك المدير لم اسمع . لا
ادري » ... اسمع !
- فيتحول الزاير الى آذان .
- ساحتاجك بضعة ايام . لحين انتهاء الأزمة .
- انا تحت امرك يا سيدي .

يده الى جيبه .

- خذ هذه !

عشرة دنانير !!

- ما هذا يا سيدي ! .. لا .. لا ..

- خذ ... مصاريك للأولاد .

- « أطل الله عمرك يا سيدي » .

يعود المدير يذرع الغرفة ، ثم يتوقف فجأة .

- هل معك سلاح ؟

يلعن ابو حميدة !

افكاره الجهنمية هي التي قادتك الى هذه الورطة .

- اذهب الى المدير غدا ، واطلعه على تفاصيل اللقاء

الذي تم بينك وبين كريم البصري .

- لماذا ؟!

- ستتكشف اللعبة الحقيرة التي يمارسها كريم

البصري .

اللعبة انكشفت ، ولكن .. ماذا كانت النتيجة ؟!

- « معك سلاح » ؟

- لا يا سيدي .

ولا تجرؤ على قول :

- لماذا ؟!

- ثقتي بك كانت في محلها .

ثم يفتح درجا في مكتبه . بريق المسدس الفضي الجديد

يخطف بصرك . وصوت المدير :

- احتفظ به ... هو محشو .
- هل تجرؤ على قول : « لماذا ؟ »
- نحن نمر بأيام عصيبة . يبدو أن مؤامرتهم هي من الأحكام بمكان . لكن المبادرة ما زالت في يدنا .
- وتكاد لا تستوعب ما يقوله .
- ستبيت معي في بيتي اعتبارا من هذه الليلة .
- أنا ...
- مجرد أيام معدودة .
- وتموت الكلمات في فمك أمام إشارة يده المسكتة .
- بضعة أيام !
- لو ان افكار حميدة اثمرت هذه العشرة دنائير فقط !! .. لكنها تعدتها الى المسدس والمبيت في بيت المدير !!
- اعتبارا من هذه الليلة .
- فيدا خلك احساس أن تنفض يدك من كل شيء .
- يا سيدي .. خذ مسدسك ودنائيرك ، ودعني اذهب !
- هل تجرؤ ؟!

★ ★ ★

- هل تثق بي ؟
- لهذا السبب جئتك .
- أنت لن تخسر شيئا ... بل ستكسب نفسك .
- لا افهم !
- ستكسب المستقبل .
- كيف ؟!
- وتبقى رسالة حميدة لفاطمة . يتحسس جيبه .
- عشرة دنائير ..
- خذ هذه الرسالة لفاطمة ، وهي التي ستتولى ...

كان عليه ان ينفرد بفاطمة .

- خذ هذه الرسالة ... وستتولى ...

قام بأكثر من عشر محاولات ، لكن جميع محاولاته
باءت بالفشل . يد المدير لا تكاد تفارق الجرس .

- أنت تأخرت ! .. أين كنت ؟!

- عند الباب .

- لا تتبعد عنه !

- حاضر .

- خذ حذرك المسدس الذي معك محشو !

- حاضر !

- لا تسمح لاحد بالدخول علي الا باذن مني !

- حاضر !

وعندما جاءت فاطمة .

- لحظة من فضلك !

انزعاج مندهش .

- لماذا ؟!

لسانه يكاد يضيع .

- هو قال : « لا تدخل اي واحدة الا باذن ! »

انزعاجها اشمئزاز .

- « المدير هو الذي طلبني !! »

هي لا تثق بك . رئيس سجانين . تكرهك . تحتقرك ،
وحميدة الذي لا يدري ...

- خذ هذه ... فاطمة ستوجهك ..

الرسالة في جيبه ، تلح عليه .

ماذا ساقول لها عندما ادفع لها الرسالة ؟!

- دعني ادخل !

لو رفضت استلام الـ ...

- دعني ادخل !.. الا تسمع ؟!

لا يرد . جسده لا يزال يحتجز الباب .

- هي التي ستتولى ...

ويدفع اليها بالرسالة .

- ما هذا ؟!

لسانه يضيع اكثر . عيناه لا تقويان على مصادمة

عينها . يسارع بالدخول الى غرفة المدير .

- سيدي ... فاطمة بالباب .

- دعها تدخل .

يخرج .

- تفضلي .

-

لا تسمعه بادىء الامر . عينها بالورقة . واهتمام

فرح يتجدد على وجهها .

- كن يقظا !.. تصبح على خير .
كانت الساعة حوالي الحادية عشرة ليلا عندما غادره
المدير لينام . والتقطت أذناه صوت زوجة المدير وهي
تهمس :

- لماذا بيت لدينا ؟!

- « اشش » !

وزوجته أيضا تساءلت عصر اليوم :

- لماذا تنام في بيت ...

- من مطالب العمل .

وعجز عن اضافة تفسير آخر .

- كن يقظا !

لكن اجفانه تنشد الى بعضها . يومه كان مليئا .
والتعب يأكل ساقيه .
تقدمت بي السن !

وهذا الاحساس بالضيق . الفراش غير فراشه .
والمكان ...

دهليز بيت المدير !

- ستبيت معي في بيتي اعتبارا من هذه الليلة .

- انا .. انا ..

- مجرد أيام معدودة !

تحسس جيبه .

- خذ هذا المسدس . هو محشو .

المدير وزوجته ينمان . فاطمة كانت قد قالت له :

- لا مانع من مبيتك في بيت المدير .

كان الدوام قد شارف على الانتهاء عندما استطاع

الاختلاء بها . دخل غرفتها . فاذا بعينيها - لأول مرة -
تحتضنانه بود . أول سؤال بادرت به :

- هل خرج المدير ؟

- الآن .

اما السؤال الثاني :

- كيف عرفت حميدة ؟!

- « صاحبي » .

يطلقها ببساطة وعفوية تثيران اهتمام فاطمة .

- كنت رئيس سجانين في سجن حميدة .

وتتداعى في ذهنه كلمات حميدة :

- خذ هذه ... وستولى هي ...

فيتوجه اليها :

- هل تعرفينه ؟

تبتسم .

- كنت أتابع كتاباته في الصحف منذ أن كان يكتب

باسم جاسم صالح .

- ثم تعقد حاجبيها .
- ولكن .. قل لي ! .. لماذا تركت وظيفتك السابقة؟!
- ضربت مدير السجن .. فسجنت .. وطردت .
- ضربته !! .. لماذا؟!
- اراد ان يضرب حميدة فضربه .
- تضحك بسعادة منطلقة .
- حميدة يمتدحك .

- ...

- تصرفاتك هي التي شككتني بك !
- يسود الصمت للحظات .
- قل لي ! .. كيف اوقعت بين كريم البصري والمدير؟!
- حميدة اشار علي .
- الآلات تبدأ تتوقف عن الضجيج . فاطمة تنظر الى ساعة معصمها .

- ترفع عينيها الى الزاير :
- حميدة يقول .. لديك الكثير من الكلام تقوله لي !
- طلب مني ان اقص عليك ما حدث معي خلال ايام توظيفي .
- وانا ايضا ساتحدث اليك . وربما يطول حديثنا ..
- ما رأيك لو تجيء الى بيتي بعد ساعة مثلا ؟
- لا اعرف مكان البيت !
- يتبادلان نظرات لا تخلو من حيرة .
- هل تستطيع مرافقتي الان ؟
- تستطيع .
- في الباص اصرت على دفع ثمن التذاكر ، وفي البيت :
- السلام عليكم .

- وء

ثم ينهت كاظم عبيد ولا يتم ، فتتولى فاطمة تعريفهما :

- كاظم عبيد .. الزاير ..

كاظم عبيد ما يزال مندهشا بفزع .

- أعرفه .. أعرفه .. رأيته عند باب غرفة المدير

يوم .. يوم الاعتقال .. هو رئيس السجنين !!

فتضحك فاطمة .

- كان ... وليس الآن .. اجلسا !

★ ★ ★

الزاير يتحدث ، والآخران - كاظم عبيد وفاطمة -

يكتشفان ، ويقيمان علاقات منطقية .

- برغم سنوات السجن بقيت عقلية حميدة نقاذة

مدهشة !

علقت فاطمة بعدما انتهى الزاير من رواية تفاصيل

المقابلة التي تمت في السجن .

★ ★ ★

- كريم البصري نال الجزاء العادل الذي يستحقه !

علق كاظم عبيد بعدما انتهت فاطمة من رواية تفاصيل

المقابلة التي تمت بينها وبين المدير ظهر اليوم .

★ ★ ★

- خذ هذه الورقة ، واعطها للمدير غدا ..

- سيجن جنونه !

ترفع يدها في وجه كاظم عبيد طالبة منه ان يصمت ،
وتستطرد :

- سيسالك المدير : « من اين جئت بها ؟! » فتجيبه :
« وجدتھا ملقاة على الأرض ، بين الآلات » .

★ ★ ★

- الآن ستنفذ خطتي بنجاح مضمون تماما .

علق كاظم عبيد باكتشاف فرح بعدما قال الزاير :

- وسأنام في بيت المدير اعتبارا من هذه الليلة .
لكن فاطمة :

- اية خطة ؟!

- السرقة .

- اية سرقة ؟!

يبتسم كاظم عبيد :

- لك الحق .. أنا لم اطلعك على ما يدور في ذهني .

- ارفع هذه الفكرة من رأسك ! .. ارفعها بالمرّة !

قالت فاطمة باصرار آمر ، معقبة على ما اقترحه كاظم
عبيد ، وأضاف الزاير :

- أرجوك « أخ كاظم » ! .. لا تخرج موقفي مع

المدير !!

- هو يسرقنا ، فعلا لا نسرقه ؟! .. خطتي تدخل

ضمن التكتيك الذي يهدف الى تقوية مركزنا . سيفاجأ

بسرقه بيته . ستشغل قدرته على التفكير ... سيتهتم كريم

البصري ... وستعود عوائد العملية على ...

لكن فاطمة - ثانية - ترفع يدها في وجهه :
- كاظم ! .. لا تقدم على أية خطوة فردية تعود على
حركة الاضراب بالضرر !!

★ ★ ★

وعندما مد الزاير ساقيه على طولهما أحس ببرودة
البلاط في كعبيه .
فراشهم قصير !

كاظم عبيد
اليوم الرابع / الخامس

كم سنة مرت منذ أن تركت السرقة؟ .. ولماذا أفكر
باحترافها ثانية؟! .. في الماضي كنت أسرق من أجل ..

• ان ااكل •

ذلك هو التبرير الذي لم توافقني عليه زوجتي ، والآن
لماذا اريد ..
أسرق؟!

• من أجل الاضراب •

والجراة التي بحثت عنها كثيرا .

- ارفع هذه الفكرة من رأسك !

••••• -

- لا تقدم على اية خطوة فردية ..

ما أدراها؟! .. ومن أدراها؟! .. هي لا تعلم بما قاله
احمد عبدالله قبل اعتقاله بيوم :

- لعلنا نحتاج الى مال بعد تنفيذ الاضراب • قد لا

يجد بعض العمال المضربين ما يأكلونه !

ولم يدر في ذهنها :

- قد لا تجد عوائل العمال المعتقلين والفادين ما تأكله .

لو ان الوقت ، والفرصة سنحت لي بطرح الفكرة على احمد عبدالله لما وجدت فاطمة الجراة على :

- لا تقدم على ...

المكسب الشخصي ...

فكرة لم تراودني مطلقا . كل الذي أهدف اليه ...

أن أضع نفسي وخبراتي في خدمة القضية .

كنت أتوقع :

- عظيم يا كاظم !! . عظيم !!

وتهم تهرع الي تشد على يدي . ما كنت أتوقع :

- ارفع ... بالمرّة !

- ارجوك « أخ كاظم » .. لا ..

قلت لهما :

- ما دام يسرقنا فعلام لا نسرقه ؟!

- تبرير ضعيف .

- خطتي هي من ضمن التكتيك الذي يهدف الى ...

- لا تقدم على ...

لذت وقتها بصمت قاهر أمتد الى ما بعد ذهاب الزاير .

كنت حزينا مقهورا ، وأحاساس :

أنا مظلوم .

يتملكني .

هي لم تفهم وجهة نظري !! هي لم تمنحني الفرصة

.....

★ ★ ★

تجيء وتروح . تروح وتجيء . تأتي بطعام العشاء .
ترفع آنية الطعام . تتوجه الي :

- أنت لم تأكل !!

- ليست بي رغبة .

- ما رأيك بقدح شاي ؟

- لا .. شكرا .

تتحدث بصورة جد طبيعية ، وكأن شيئا لم يكن .
اتنسى بهذه السرعة :

- لا تقدم على ...

أو انها تناست :

- ارفع هذه الفكرة من ...

أم اعتبرت قضيتنا منتهية بكل بساطة قرارها النسائي
الذي لا يعرف روح الثورة البروليتارية ؟!

- ما رأيك .. بقهوة ؟

- لا ... شكرا .

وبالرغم .. تجيء بشاي . تجلس قبالي . عيناها
- دون قرارها السابق - حنان ودود والفة محبة .

احسها اما حلوة . لا اجد الجراة على رفض قدح
الشاي .

- اشرب !

...

- أنت لست طبيعيا !

صوتها أمومة مثارة .

أتنسى بهذه السرعة ؟!

واحس حاجة لأن افتح لها قلبي . القى بالامي بين
يديها الحلوتين .

- انت لست طبيعيا ! .. ما بك ؟!

انظر الى وجهها . امكانية التفاهم ترسم أبعادا مضيئة
في عينيها .

- القرار انت اتخذته . الوقت - الآن - هو منتصف الليل . بعد ساعة فقط ستخرج لتنفيذ .
- حوارك الذي بدأ مع فاطمة اخويا متفاهما :
- انت لست طبيعيا ! .. ما بك ؟!
- انتهى الى موقف جدي دفعها لمغادرة الغرفة دون :
- تصبح على خير .
- عقليتها ضيقة . حاولت اقناعها . قلت لها :
- طرحي لفكرة سرقة بيت المدير ما كان وليد قرار اعتباطي . وانما نتج عن دراسة علمية موضوعية .
- ... -
- الفرض من حديثي هذا هو توصيل مفهومي لعملية السرقة .
- ... -
- عوائد العملية ستعود على عوائل العمال المعتقلين .
- ... -

- عصفورين بحجر واحد . ارباك المدير . توجيه الانظار
ناحية السرقة . اشغالهم عن مراقبة سير عملية الاضراب .
توفير المال الضروري لـ ..

-

- حربنا هي حرب طبقية طاحنة . ولا بد لنا من
الاستعانة بجميع انواع اسلحتنا . كاسترو كان يسرق من
الاقطاعيين والراسماليين من اجل توفير الـ ...

-

- خذي مثلا . المنظمات اليسارية في اميركا اللاتينية .
الخطف .

الفدية . مهاجمة البنوك .

-

- لماذا مشروعي انا - برايك - هو الذي لن يضيف
شيئا ؟!

-

- كنت بصدد طرح الفكرة على احمد عبدالله . كنت
واثقا من موافقته ، لكن اعتقاله المفاجيء ...

★ ★ ★

المفروض بمثل هذا الحوار العلمي ان ينتهي الى اتفاق
متكامل . فماذا انتج ؟

- ستدخلنا حربا جانبية نحن في غنى عنها .

-

- الاضرار أكثر من الفوائد . واحتمال كبير ان يضيع
الزائر وسط هذه العملية !

-

- « صحيح » احمد قال : « قد نضطر الى جمع بعض التبرعات .. ولم يقل : « قد نضطر الى بعض السرقات » !

.....

- انا واثقة من لا جدوى العملية .

.....

- انت لست كاسترو . ظروف الثورة في كوبا تختلف عن ظروف اضرابنا .

.....

- ما دمت مصرا فالافضل اخذ رأي احمد عبدالله بالموضوع .

قلت لها :

- احمد معتقل فكيف ...

لكنها قاطعتني :

- « لا تخف » .. لن نعدم وسيلة للاتصال به .

ثم غادرتني غاضبة دون ان :

- تصبح على خير .

★ ★ ★

بالرغم من كل شيء فهي تملك الحق ، وانا لا املك الحجة . لو كنت عضوا في الحزب لما كلمتني بهذا الاسلوب !! القصيدة التي تسببت في سجنني ، والبراءة التي تسببت في اطلاق سراجي ، والصفة التي لازمتني ..

- التنظيم الحزبي المحظور ...

- لكن براءتي ثبتت !!

- انت مفصول من العمل .

- .. براءتي ثبتت !! اعلنت ذلك في احدى الصحف

– لا جواز سفر . انت ممنوع عن السفر . التنظيم
الحزبي المحظور .

– ثبتت . اعلنت احدى الصحف
سافرت الى الكويت سيرا على الاقدام . عدت . والصفة
لا زالت تلازمي . ثم احترفت السرقة . وما كنت اسرق
الا بيوت ضباط الشرطة . . .

في المصنع عرفت احمد عبدالله . احببت احمد عبدالله
وثقت به . وفي جلسة اخوية رويت له كل شيء . كل شيء
حتى البراءة . ابتسم . وضع يده على كتفي .

– الافضل الا تفتخر بممارستك للسرقة .
– سرقت بيوت ضباط الشرطة فقط .

– « وان كان » . الثوري الحقيقي لا يلجأ الى السرقة
الثوريون المنحرفون هم الذين . . او بالاحرى . . الارهابيون
– لكنني تركت السرقة منذ مدة طويلة !
– هذا افضل .

مع الايام عرفت احمد عبدالله اكثر . قلت له :
– ارغب بالتعاون معكم !

– اهلا بك ، وبكل العمال الطيبين .
– وارغب ان اكون منكم !
–

– ما كنت حزيبا عندما قدمت براءة ! . . فهل ستقبلوني
في صفوفكم ؟

– لا أدري . . وانا مجرد عامل مثلك .

لهجته ليست رفضا . هي اشبه بتشجيع .

– لا تقدم على اية خطوة فردية دون . .

لهجته غضب آمر . كان ذلك في صبيحة يوم اعتقاله .

– لا نستطيع ان نثق بكل انسان .

واردف :

– من الذي طلب اليك الاتصال بكريم البصري ؟!
الاقتراح بتعاون كريم البصري اضع فرصة طرح اقتراح :

– ساقوم بسرقة بيت المدير .
في الماضي قال :

– ... الثوري الحقيقي لا يلجأ الى السرقة .
انا اوافقه على رايه ما دامت السرقة بجميع عوائدها
ستعود على السارق ، ولمصلحته الشخصية بالذات .
اما الآن :

– الغرض هو توفير المال لمساعدة عوائل العمال
المعتقلين .

احمد عبدالله لن يرفض مشروعي . محال ان يرفضه
انا اعمل لصالح العمال . وهذه « الفاطمة » ...

– وهل انت كاسترو

الاخرون .. لماذا يرفضون يفهمون ؟!

– الافضل اخذ رأي احمد عبدالله .

الا تفهم بأن مشروعي هو محاولة للانتقام من جلادي
احمد عبدالله ؟!

– الاضرار ستكون اكثر من الفوائد .

ما دمت انا الذي ساغمر فأنى للاضرار ان تكون اكثر
من الفوائد ؟!

لماذا يهمها امر المدير الى هذا الحد ؟! .. ولماذا كل هذا
الخوف على الزاير ؟!

لو كنت حزبيا !! .. لو كنت حزبيا فقط لعرفت كيف
اخرسها !!

هذه البراءة اللعينة هي السبب !.. لولاها لما قال
احمد عبدالله :

— لا ادري •

لكن مشروعي هذا سيمحي عار البراءة .
وهذه « الفاطمة » ...

اليس الاحرى بها ...

— فكرة عظيمة يا كاظم !.. ضربة قاضية للمدير !

ساعتها سيختلف موقف الزاير . لعله يقول :

— تعال هذه الليلة وستجدني بانتظارك وراء الباب •

ساساعدك على السرقة • وعندما تنتهي منها قيدني تقييدا

محكما ، واتركني ملقى على الارض كي ابدو وكأنني ضحية

هجوم عصابة من اللصوص ••

ما اروع لو تم الاتفاق على هذا الشكل !!

الظلام . الهدوء . وفتح كاظم عبيد عينيه على سعتهما
لم ير السقف ، ولا المروحة . الساعة ...

اظهرها قاربت الواحدة .

تملكه احساس منعش بحرية مفاجئة .

القرار .

سحابات فرح طفولي تزدحم في صدره

الى العمل .

استوى جالسا .

هي تنام .

- الافضل اخذ رأي احمد عبدالله .

احتجاج صغير .

اذن ... الانتظار - برايتها - ضروري !

ركز عينيه باتجاه باب الغرفة ، وقليلًا قليلًا بدات خطوط
الباب تظهر لعينيه . لم يبحث عن حذائه .



فتح الباب بهدوء .
ايام زمان !
 برودة الاسفلت في قدميه الحافيتين .
من ضرورات العمل .
 ورطوبة الهواء منعشة داخل رئتيه .
ساعود مع الساعة الثالثة على الاكثر .
 اطبق الباب - بهدوء ايضا - دون ان يقفله .
في الماضي ضباط شرطة . وفي الحاضر ..
 ثم انطلق مسرعا ، معتمدا ظلال الجدران . الطرقات
 خالية تماما ، والصمت يكاد يكون شاملا ، عدا نباح كلاب ،
 وصفارات حرس تأتي اليه عبر صدى بعيد .

★ ★ ★

في الماضي الجبل كي اتسلق الجدران . اما بالنسبة
لبيت المدير ...
 سور حديقة منزله سهل التسور . الزاير يبيت هناك .
 - ارجوك « اخ كاظم » ...
 سيري من هو كاظم عبيد ..
 - وهل انت كاسترو؟!
 حدد نظره الى امام .
 اكثر من عشرين عملية سرقة ، ولا مرة ارتكبت خطأ
 اوقعني في ايدي الـ ...
 مسدس المدير جديد . هو مع الزاير . ولا بد للثوري
 ان يتزود بسلاح .. فمن يدري؟!

★ ★ ★

كان قد وصل الى أول مفترق طرق . وقف . تلصص .
 احد الحراس يجلس القرفصاء على الرصيف غير بعيد عنه .

ما الذي جاء بهذا الحمار هنا ؟!

التصق بالجدار كاتما انفاسه .

الا يكفي الحمار الذي يبيت في بيت المدير ؟!

صوت صفارة يتردد في البعيد .

للصوص يعرفون لغة الصفارات . هيا يا صاحبي ..

هيا ..

الحارس يتململ . يتحرك . يرفع يده الى فمه . صوت

الصفارة اشبه بضحكة مصدور . الحارس يقف .

هيا .. لا وقت لدي !

الحارس يمشي . كاظم عبيد يتابعه بنظره قبل اجتيازه

للشارع .

ربع ساعة مر . هل ساستطيع العودة قبل الثالثة ؟!

احتاج ربع ساعة آخر كي اصل بيت المدير ، اما اذا

اعترض طريقي احد الحراس ..

كاظم عبيد هارب . السلطة تبحث عن ..

انا هارب اداهم بيت مدير الـ ...

مسدس الزاير ...

ـ ارجوك ((...)) موقفي ...

ـ كاسترو ؟!

الطريق يمتد امامه مستقيما . عليه ان يكون اكثر حذرا

بدا يتستر بظلال الاشجار .

سور الحديقة واطيء . تجاوزه سهل . الزاير هناك .

انا لم ادرس موقع المنزل . مرة واحدة رايته . مرة ..

من وراء سور الحديقة ..

ماذا لو اني تخطيت السور ثم لم ..

او ان الزاير المسدس ..

أنا غبي وحمار! .. لا أدري كيف اقتنعت باني ساوفق
لدخول المنزل؟!

رفع رأسه الى أعلى . تطلع الى النوافذ .

كيف اكتفيت برؤية عابرة للمنزل؟!

((ما دام المنزل محاطا بحديقة فسأوفق لاقتحامه)) .

هذا ما دار في ذهني قبل البدء ، وها أنا منذ ربع ساعة
أدور الحديقة دون جدوى !

كان قد أتم الدورة الثالثة ، فوقف في ظل شجرة .

لو ان هذه الشجرة اقرب بـ متر واحد لاستعنت
بفروعها ! ..

لو ان مواسير المياه ظاهرة للعين ! .. مثبتة على الجدار
.. لاستطعت تسلفها !

وأخيرا ..

– لو اني اصطحبت جبلا !

سطح بيت فاطمة بجبل غسيل . لماذا لم افكر باستعارته؟!
وفاطمة :

— كاسترو ؟!

اما كان الأجدر بها :

— مشروعك هذا خطوة ثورية جبارة ، وجريئة ،
وسيدفع الحركة الى امام خطوات .

موقفها — حتما — سيؤدي بالزائر الى :

— سأساعدك على سرقة بيت المدير . تعال فتجديني
بانتظارك خلف الباب .

لكن موقفها السلبي دفعني . . .

القي نظرة أخيرة مليئة بالأسف على المنزل .

حتى الحذاء تركته هناك !

اتجه صوب السور .

كنت واثقا .

أفلت زفرة من صدره .

لا بأس . . سأعود ومعني الجبل .

الساعة مع الثانية والطريق تمتد أمامه .

موقفها الجدي المتعسف دفعني للتسرع !

وهذا الاحساس بالفشل لا يريد الانزياح عن صدره .

الظروف ! . . والا لما تحكمت بي امرأة !

منذ ليال وانا . . . رجل يبيت في بيت امرأة ، وامرأة
جميلة بالذات !!

الدماء تدفق حارة في جسده .

وزوجتي التي . . .

النقمة في فمه .

الأحداث كادت تأخذني منها . تشغلني عنها . لعلها
جئت قلقاً عليّ !!

انحسرت النعمة عندما داهمته فكرة مفاجئة :

علام لا أذهب إليها الآن ؟! .. بيتي غير بعيد عن هنا !

يكاد يعقد حاجبيه .

أخشى أن يكون بيتي مراقباً !

النوم يجافيك . نور الفجر بدأ يتسلل عبر ستارة
النافذة .

ولا سجائر !

فاطمة منذ اكثر من ساعة ذهبت تنام . اللقاء غير
المتوقع الذي حدث بينكما زعزع كل كيائك .
الاحداث باجمعها كانت مثيرة ، مقلقة ، مخيفة ، فمن
فشل ذريع مني به مشروعك .

سأنفذ العملية واعدود مع الساعة الثالثة .

الى ...

ساعود وبصحبتي الحبل .

العملية لم .

اشجار الحديقة ليست بقرب كاف من جدران
المنزل ، ومواسير المياه اختفت !

وبالاضافة .. فانت لم تعد مع الثالثة .

علام لا اذهب الى زوجتي؟! .. في الوقت متسع ،
 وبיתי غير بعيد عن هنا !
 وحالما وصلت الى هناك افركك عدم وجود من
 يراقب البيت . سلسلة المفاتيح . الباب ، ورائحة بيتك .
 ستفاجأ ... عليّ بالخطر ، والا فزعت !
 الظلام ، الصمت المطبق ، وهي ...
 الليل ، وانفاسها ..
 - من؟! .. انت؟!
 لم تفزع ، لكنها فوجئت .
 - ما الذي جاء بك؟!
 النعاس ، ورائحة النوم .
 - اين كنت؟!
 اضطجعت الى جانبها .
 - ومن هي فاطمة؟!
 اخذتها اليك .
 - كم الساعة الان؟!

 لماذا الان؟!

- اسرع .. رجال الشرطة جاءوا عدة مرات يسألون
 عنك !
 ...
 - انت تؤلني !
 ...
 - هم افزعوني ... ولم يضربوني .
 ...

- متى تعود الى البيت ؟!

...
- انت انتهيت بسرعة !!

وبالرغم فقد انفقت زوجتك اكثر من نصف ساعة
بالبحث عن حذائك المطاطي .

- نبحت عنه في النهار !

كان ضائعا بين المهملات .

- انت تركت السرقة .. فلماذا تعود اليه ؟!

...
-

- اياك والعودة اليها يا كاظم !!

...
-

الشك في عينيها :

- اخشى الا تكون قادما من اجلي فقط !!

- جئتك حافيا ، فهل اعود حافيا ؟!

خطة الليلة القادمة ، ومقوماتها الحذاء المطاطي ،
وحبل غسيل فاطمة .

- متى تعود اليّ ؟!

وما كان طريق العودة الى بيت فاطمة بعقبات تذكر .

كيف حدث هذا ؟!

صرخة دهشة تردد صداها في داخله . هو متأكد بان
الباب لا يزال - كما تركه - مواربا .

من اقفله ؟!

بقيت يده مشلولة في الهواء لثوان .
لا .. لا يمكن !!
كان رافضا لفكرة انغلاق الباب . بحث بعينه عن
ايما شق ينظر من خلاله .
غير معقول !!
النور في الداخل .
فاطمة عرفت بخروحي ! !
جمع اصابعه ، وطرق الباب . لم يأت من الداخل
صوت :

- **من بالباب ؟**
لان الباب فتح ، وظل جسد فاطمة يسد عليه طريق
مدخل .
- **هل وفقت ؟**
كاظم عبيد يتصنع الدهشة :
- **في ماذا ؟!**
- **وتتظاهر بالغباء ؟!**
- **لا افهم !!**
الغضب في صوتها :
- **هل نجحت خطتك ؟**
- **اية خطة ؟!**
تكاد « تصفق » الباب في وجهه .
- **خطة .. سرقة .. بيت .. مدير .. المصنع ؟**
البراءة في صوته :
- **انا لم اذهب كي اسرق .**
- **ماذا ؟!**
فيقول بأمانة :

- اظننا اتفقنا على استشارة احمد عبدالله !
- تتململ في وقتها :
- وهل التزمت بالاتفاق ؟
- الامانة تصل حد الحزن ويصدق كاظم عبيد صوته :
- « طبعاً »
- تتململ في وقتها اكثر .
- اين كنت اذن ؟!
- التردد . الحياء على وجهه :
- ذهبت .. الى .. الى بيتي ..
- تكاد لا تصدق :
- الى بيتك ؟!!
- كي اطمئن على .. على زوجتي .
-
- منذ ايام وانا لم ارها .
- التماع لذيق عينيها . تفسح له طريق الدخول .
- انا آسفة !!
- تزداد ابتسامتها اتساعا :
- ترصدتك . كان لدي يقين غريب ، واقتناع تام
- بانك ستخرج هذه الليلة لتسرق بيت المدير !
- ترافقه حتى باب الغرفة .
- وما الذي دفعك لارتكاب هذه المخاطرة ؟! ... لو
- انك كلفتني
- فيقاطعها :
- اردت رؤيتها .
- لا ترد مباشرة . التماع مثار يتجسد في عينيها .
- تصبح على خير .

كريم البصري
اليوم الخامس

John H. Hays

Nov. 1871

كان الصباح رائقا ، والرياح الشمالية تهب سلسة
 مشبعة بنداوة الربيع عندما وصل كريم البصري الى
 المصنع .
 القى نظرة خاطفة على ساعته .

الثامنة الا خمس دقائق ، المدير لم يصل بعد .
 سيارته ليست ...

الصخب . الاروقة ، ووقع الحذاء .

الامور حتى الآن تسير سيرا حسنا .. فقط لو
 كنت اعرف مكان اختفاء كاظم عبيد !! ... قبل ايام ...
 ابتسامة عريضة ترسم على فمه .

الخير ! .. لعنة الله عليها ! .. وذهبت اليه ..
 - صدر امر اعتقالكم ، انت واحمد ...
 وغاب عن ذهني :
 - في حالة هربك اتصل بي على هذا العنوان .

لو اني اعطيته عنواني . شجعته على الاتصال بي ،
لاستطعت - معه - عمل الكثير . هو يثق بي ، اما ...
الابتسامة تزايل فمه .
وفاطمة ... لا ادري علام تنفر مني؟! ... منذ
.. الخمر! .. لعنة الله عليها! .. وهي تزداد نفورا مني!!
يكاد يفلت ضحكة قصيرة .

منذ ان :

- يجب ... حدا ... العزوبية ..
يعقد حاجبيه .

لكنها أيضا :

- احمد اعطاني ورقة .

تلكا في سيره . الزاير يربط عند باب غرفة المدير .

- صباح الخير .

- صباح الخير .

يزعجه عدم نهوض الزاير لاستقباله ، ويكاد يستغني
عن سؤاله :

- ما هي آخر الاخبار؟

- لم اسمع شيئا .

النقمة تتجمع في صدره . لهجة الزاير لا تحمل
الاحترام اللازم .

لاحتمله ما دمت محتاجا اليه . حقير!! .. هل نسي
الدينار بهذه السرعة؟!
يتابع سيره .

انا صاحب فكرة :

((نستطيع الاستفادة من الزاير ...))

قلت هذا بعد الحوار الذي دار بيني وبين المدير قبل
يومين . كان قد ارسل علي .

- اجلس استاذ كريم .. اجلس !
جلست . وضع غليونه في فمه .
- قضية هرب كاظم عبيد تشغل ذهني . لن نقضي
على الداء الا بعد اعتقالنا له .
- ينفث دخانا يكاد يملأ الغرفة ، ثم يستطرد بلهجة
عاتبة :
- وانت ايضا يا استاذ كريم تكاسلت !
- تكاسلت ؟!
- لم تزودنا بالفائمة الجديدة لاسماء العمال المحرضين
على الاضراب !
- وهل تظنني اعرف فاتقاعس ؟!
يتجاهل سماع كلامي . يقول :
- خلال ايام قليلة سيصل رد الكتاب الذي وجهته الى
المديرية العامة .
- ...
- استعد لاستلام مهام منصبك الجديد .
مع المدير استطيع السير حتى آخر الخط .. « مساعد
مدير » وفي نفس الوقت سيلعب الدينار الذي اعطيته للزائر
دوره .
- اما عن طبيعة علاقتي بفاطمة ...
يقف . كان قد وصل باب غرفته . يمد يده الى
المقبض .
- لم يفتح بعد !!
- يعود يعالج المقبض دون جدوى .
- اغبياء ! .. كيف يهملون فتح باب غرفتي ؟!
- يتلفت حواليه . الزائر على البعد يجلس ملتصقا
بالجدار .

أحس مهانة دبكة وهو يقف امام الزاير .
 - باب غرفتي مقفل . ابحث عن المفتاح . وافتحه لي .
 الزاير لا ينظر اليه . هو مشغول باعداد سيجارة
 « لف » ومن بين اصابعه يهمهم :

- انا اقفلت باب غرفتك .
 دهشة منزعة :

- انت اقفلته !! .. لماذا ؟!

- المدير امرني .

- المدير لم يات بعد ... فمتى امرك ؟!

من بين اصابعه ايضا :

- صباح اليوم .

- صباح اليوم ؟! .. هو لم يات بعد !!

الزاير وهو يضع السيجارة بين شفتيه .

- كنت معه في منزله . بت معه في منزله .

- هكذا !

قالها كريم البصري بلهجة متفهمة ، وبالرغم فهو لم يفهم شيئا .

- ولماذا امرك المدير باقفل الباب ؟

- لا اعرف .

كريم البصري لا يزال مبهوتا ، متسمرا امام الزاير الذي استطرد :

- قال لي : «اقفل الباب ، وضع المفتاح لدى فاطمة»

هكذا !!

قالها بفهم مستوعب ، وبالرغم فهو حائر لا يعي ما يحدث .

قال له : « اقفل الباب ، وضع المفتاح . . »

قال له : « اقفل الباب ، وضع . . . »

قال له : « اقفل الباب . . . »

والارض لا تكاد تستقر تحت قدميه .

قال له : « اقفل . . . »

وصل غرفة فاطمة ، لم ينس ان يطرق الباب .

- ادخل .

صوتها من الداخل طبيعيا جدا ، وأحس بجلدة وجهه

تنشد .

هل تعرف السبب ؟

والمدير . . . اتخذ خطوة معينة ام لا ؟

دخل . لم ينس

- صباح الخير .

- صباح الخير .

خيل اليه .

صوتها مشوب بنوع معين من الفهم .

فهم خاص لم يسبر اغواره مباشرة .

- المدير أمر الفراش باقفال باب غرفتي .
وسقطت نظراته على المفتاح الذي يستقر على طرف
مكتبها .

- نعم .. وقد جاءني الزاير بالمفتاح قبل دقائق .
- الاتعرفين السبب ؟

- بلى ... المدير أصدر امرا بفصلك من العمل .
جسده - باجمعه - ينتفض . حاجباه . عيناه .
وجهه . واحس بالخدر يتنمل في ساقيه .
خطا الى وراء خطوتين ، واسقط جسده على
الكرسي . وبرغم الوهن الذي استبد به فجأة كان ذهنه
يعمل بصورة غريبة ، ويستبق الاسئلة . فهو لم يقل :

- لماذا ؟

لكنه تساءل :

- متى ؟!

- امس .

- امس كنت معه !!

« - لم تزودنا بالقائمة الجديدة لاسماء العمال
المحرضين على الاضراب ! »

« - خلال الايام القليلة القادمة سيصل رد الكتاب
الذي وجهته الى المديرية العامة .. »

« - استعد ... مهام ... مساعد .. »

وصوت فاطمة الموضح :

- امس . قبل نهاية الدوام بساعة ارسل بطلي ...

حرري قرارا بفضل ... »

- لكن احدا لم يخبرني امس !!

- اراد مفاجاتك .

يحس نفسه غريبا .
رئيس السجانيين هو السبب !!
ومنبوذا .

رئيس السجانيين هو ...
فاطمة تشغل نفسها باوراق امامها . تداهمه رغبة
مفاجئة لان ينفرد بنفسه .

الانسحاب افضل .
يسحب ل صدره شهيقا عميقا . ينتبه . لا يفلته
بقوة . ينهض . يقترب من فاطمة . يمد يده .

- مع السلامة .
تنظر الى اليد الممدودة اليها . كفه مفتوحة تنتظر .
تمد يدها اليه .

- مع السلامة .
صوتها يصله حزينا لاول مرة ، ومفتاح غرفته يرقد
على المكتب غير بعيد عن متناول يده .

(الساعة السادسة مساء)

بار حقير ، وعرق رخيص !

خطا الى الداخل . المكان خال من الرواد .

عادة .. يفدون بعد السابعة .

النادل يتسهم . يقف .

- اهلا وسهلا .

كريم البصري لا يرد تحية النادل . لا يتفحص
المكان ، يتوجه ناحية ركنه المنزوي .

- نعم استاذ !

النادل بالقرب منه .

- « ربع عرق »

- حاضر .

النادل يتبعد .

الارض التي اقف عليها رمال متحركة . حركة واحدة ،
فاغوص الى القرار !

لم يتوقف عن «الف» سيجارته :
 - انا اقفلت باب غرفتك . المدير امرني . بتّ معه
 في منزله المفتاح لدى فاطمة .
 - يجب ان اضع حدا حاسما لحياة العزوبية .
 ممكن جدا وضع حد حاسم بعودتي الى السجن .
 - نستطيع الاستفادة من الفراش ..
 النادل والمنضدة :
 - هنا «ربع عرق»
 -

يمد يده الى القنينة . يملأ الكأس . يتجرعها دفعة
 واحدة .
 - انت تكاسلت يا استاذ كريم .. لم تزودنا بالقائمة
 ال... ..

هو لا يدري بانّي لا اعرف ، ولا يدري بانّي حتى لو
 عرفت لما زودته بالمعلومات التي تفيده ، وفاطمة ...
 - اعرف .. احمد اعطاني ..
 واحمد

- لا نستطيع الثقة بكل انسان ..
 وطاقاتي التي ذهبت هدرًا !! .. ومستقبلي !!
 - ستكون مساعدا لي ...
 صب لنفسه كأسا ثانية .
 جاسوس حقير ! .. الزاير .
 عميل حقير ! .. رئيس سجانين ! .. الزاير .
 يفرغ الكأس الثانية في جوفه .
 يبقى رئيس سجانين الى الابد !!
 مجرم ! .. يأخذ الدينار مني :

- اطل الله عمره يا سيدي .
ثم يذهب الى المدير ، حتما .. هو الذي ذهب الى
المدير :

- كريم البصري اعطاني دينارا ، وطلب مني : « لا
تزود السيد المدير بأية معلومات .. الاخبار لي وحدي »
فجن جنون المدير . عرف بأنني لست معه بقدر ما انا
ضده .

- تعالي يا فاطمة .. حرري قرارا بفصل كريم الـ ..
يصب كأسا ثالثة .
لا غبي الا انا !! .. كيف وثقت بواحد من الخدم
المخلصين للنظام ؟!

حمار انا ! .. لماذا وثقت برئيس سجانين ؟!
اخذ ديناري ، وذهب الى المدير .
الخدر بدأ يتصاعد الى رأسه لذيذا منعشا . رفع
الكأس الثالثة الى فمه .

ابن الكلب !!

واتى عليها .
كريم البصري لن يبيع تاريخه بسهولة .
- ستكون مساعدا لي .
في الماضي دفعت الثمن سجنا والآن ...
- المدير اصدر امر فصلك من العمل ...
لو انهم وثقوا بي منذ البداية !
يفرغ ما تبقى من القينة في كأسه .
- مع السلامة .
لأول مرة تتعاطف معي . صوتها كان حزينا . اخيرا ،
وبعد فوات الاوان عرفت بأن كريم البصري ليس عميلا .

الآن فقط ، بعدما فقدت وظيفتي ، واصبحت معرضا
للاعتقال من جديد .

الآن ، بعدما تساوينا انا واحمد عبدالله ...

يمسك الكأس . ينظر من خلالها

وجعفر علي ، وكاظم عبيد ...

نقطة ضوء مفاجئة تشع داخل رأسه .

لكن الاوان لم يفت بعد !

يتجرع الكأس .

- يا نادل ! .. كم حسابك ؟!

أفكاره مرنة بسبب الخمر التي شربها ، لكن خطواته
واثقة .

— مع السلامة .

وشبح دمعة حلوة يجول في عينيها .
قبل أيام :

— احمد اعطاني ...

أما وقد عرفت من هو كريم البصري ... احمد
عبدالله ليس بافضل مني !

هو معتقل ، وانا مفصول .

الم يدر في ذهنها سؤال :

— ما الذي دفع المدير لفصل كريم البصري ؟!

الم يدر في ذهنها :

— كريم البصري حذر كاظم عبيد .. لماذا ؟!

والطريق امامه مضيئة .

ان كان لديها شك قليل زال الآن . ساذب اليها :

- يا سيدتي ! .. او يا فاطمة ! .. انا فصلت من عملي بسبب مناصرتي للعمال . حاولت مخادعة المدير من اجل حماية العمال . أعطيت هذا الجاسوس الحقير رئيس السجنين دينارا من اجل .. من اجل .. اللعنة !! ... المهم .. يا سيدتي انا فصلت من عملي ، لكن فصلي لا يمنعني عن ان اضع نفسي وثقافتي وخبراتي تحت تصرف العمال .

خيالاته اكثر حرية . والالوان بأجمعها مضيئة .

نعم سأذهب اليها . اليها .. حالا ..

كريم البصري لن يبيع نفسه . ان كنت قد فقدت عملي فلن افقد شرف النضال .

(الساعة الثامنة مساء)

عندما دخل كريم البصري البار ثانية . كان منهارا .
حزيناً . صامتاً .

– « نص ربع عرق » !

– حاضر .

الرواد ضجيج . والمصابيح ظلام . وهذه القصة
اللعينة التي لا تفارق فمه . كان على شفا حفرة من البكاء .
صبي صغير ، مجرد صبي صغير استطاع ان
يهزمني !!

– تفضل .

وابتعد النادل .

لا فائدة ! .. ها انا اعود الى ادمان الخمرة !

يمسك بالقنينة .

ابن الكلب !! .. أطرق الباب :

– من ؟

- « !لاخت فاطمة موجودة ؟ »
- « !لاخت فاطمة غير موجودة » .
- متى تعود ؟
- لا ادري .
- افتح الباب !
- لماذا ؟!
- سانتظرها في الداخل .
- لا .
- ابن الكلب ! .. ماذا أفعل معه ؟!
- يصب لنفسه كأسا .
- ماذا تعني بـ « لا » ؟!
- لن افتح الباب .
- لماذا ؟!
- هي لا ترضى .
- لن تفضب منك . انا كريم البصري !
- لا اعرفك
- يكاد يفص بالعرق .
- الفضب يخنقني . عاودت الطرق بقوة . لكن خطواته
- انسحبت الى الداخل .
- تعال يا ولد !!
- وصوته :
- لا تتعب نفسك . ان افتح الباب .
- يأتي على بقية الكأس .
- احسسته يتحدثاني . يتحدثاني أنا بالذات .
- هل انهزم أمام هذا الصبي الحقير ؟!
- الفضب . الانفعال . القهر .
- هو غاب في الداخل !!

وبدا الدوار . كنت بأمس الحاجة لقدح من الليمون .
صرخت بأعلى صوتي :

— تعال !!

... —

— سأعاقبك !!

... —

استنال عقابك من فاطمة !!
هل أذهب؟! ... أم أربط عند الباب لعين مجيء
فاطمة !!

يفرغ محتويات القينة .

الدوار في رأسي . الفثيان .

— تعال يا ولد !!

... —

ومعدتي الحقيبة بدأت تنقلص .

افتح الباب !!

كنت بأمس الحاجة لقدح من الليمون .

— أرجوك !! افتح !!

لولا الدوار والفثيان لتركت الباب . كنت عاجزا

تماما عن المشي .

— افتح يا ولد !!

... —

وبدأت الأرض تدور بأسرع . الغضب . الحزن .

القهر . الانفعال .

استندت على الباب ، لكن القيء سبقني إليه .

— افته

القيء على الباب . على العتبة . على الأرض .

الدوار بدا يخف • الفثيان ينحسر •
ماذا لو انها وصلت الآن فرات الباب والعتبة ؟!..
وعيون المارة تندهش :

— سكران !

يضع الكأس الفارغة .

— يا نادل !

النادل يقترب .

— « ربع عرق » !

النادل يتعد .

لولا مسارعتي بالابتعاد لاصبحت اضحوة للمارة

(الساعة الحادية عشرة ليلا)

- اقترب النادل من كريم البصري .
 - سنغلق المحل يا استاذ !
 - اغلقوه !
 - لكننا لن نغلق المحل يا استاذ .. وانت هنا !
 يرفع وجهه المحتقن .
 - كم مرة قلت لي .. سنغلق المحل؟! ..
 - عدة مرات .. وفي كل مرة تقول .. « اغلقوه »!
 يصمت لثوان .
 - طيب .. طيب .. كم حسابك ؟
 - انت دفعت الحساب مرتين .
 يمد يده الى علبة سجائره . يرفعها .
 - حاضر .. حاضر .. ها انا خارج .
 النادل يمد يده الى كتف كريم البصري ، يساعده
 على الوقوف .

— ابعد يدك !.. لست سكرانا .
يشد قامته . يخطو الى امام . ثم يتقهقر خطوتين
الى وراء . قبل ان يندفع بخطوات مترنحة الى الخارج .

★ ★ ★

الهواء الرطب ، وصمت الشوارع .
الخمر افضل صديق ، والصديق وقت الضيق ،
والضيق في عالم الاغبياء والاقزام ...
شيء ما اشبه بالمطرقة يراوح داخل رأسه .

وهذا الصداع اللعين !!.. لو حصلت على مسكن!!
لكن الحوانيت مقفلة . الناس هنا أشبه بالقطط ، ينامون
في اول الليل ..
يعقد حاجبيه .

القطط لا تنام . عيون القطط أشبه ... اللعنة
عليها !!.. وعلى الصبي الذي في بيتها .
— فاطمة غير موجودة .
— احمد اعطاني ورقة ...
— هي لا ترضى .
— انا كريم البصري !
— هي لا ترضى .
من يدري !.. لعلها قالت له :
— ان كان الطارق كريم البصري فانا غير موجودة .
بل قالت له :
— لا تفتح له الباب !
اذن فاتا جاسوس .

★ ★ ★

يستند الى جدار قريب . يتحسس جيوبه . يخرج
علبة سجائر .

الصفة المثلى ... « جاسوس » .

يبحث عن الثقاب .

اللعنة !! بقي في البار .

يتجشأ بصوت مسموع . يكتشف مرور رجل الى
جانبه .

- هل تسمح

الرجل يقف .

- « عند كبريت » ؟

- نعم .

يقترّب منه .

- « تأخذ سيجارة ؟ »

- لا .. شكرا .

- « والله تأخذ ! »

يأخذ . عود الثقاب يضيء الوجهين المتقاربين .

كريم البصري : هل تسمح بسؤال ؟

- نعم .

- انظر الى وجهي ..

- ما به ؟!

- انظر اليه جيدا ... هل انا جاسوس ؟

الرجل يتنسم . يقول وهو يتعد :

- نعم .

كريم البصري يغضب .

ابن الكلب !!

يصرخ :
 - قف !! قف يا رجل !
 يدفع صوته بأعلى :
 - ان كنت شجاعا تعال !! احذري فانا .. فانا ..
 ويفرح للتشبيه الذي وفق اليه :
 - فانا قبلة شديدة الانفجار !
 لكن احساسا بالحزن يداهمه فجأة :
 هم عطلوني !! .. القبلة ما عادت ...
 ومديرنا الغبي :
 - استاذ كريم أنت ...
 - استاذ كريم .. متى تزودنا بالقائمة ...
 كريم البصري لن يبيع نفسه !!

★ ★ ★

يعاود السير مستندا الى الجدران .
 ... لن يبيع نفسه !
 يكشف - ثانية - مرور رجل ، فيصرخ بقوة :
 - قف يا ولد !!
 الرجل يتوقف مبهوتا .
 - نعم !
 كريم البصري يقترب منه . يقرّب وجهه من وجه
 الرجل .
 - تحركوا !! تحركوا !! حتى متى يستمر هذا
 الازعاج ؟!
 - لا افهم !!
 - هم يقتلون العمال .. اتصدق بانهم يقتلون العمال ؟!

- لا اصدق .
- اذن .. انت غبي !
- الرجل يرفع يده . صفة مدوية تسقط على وجه كريم البصري .
- لماذا ؟!
- الرجل يبتعد .
- قف يا ولد !! ان كنت رجلا تعال !! احذرني
- فانا .. فانا .. قنبلة .. قنب
- ثم ينهار باكيا .
- لكنهم عطلوني !!

ebooks4arabs.blogspot.com

فاطمة
اليوم الخامس

ما الفشل؟!
 في البدء كان غيابك .
 أما الآن ... فرغم كل العقبات ، ورغم كل الاعتقالات ،
 لا زالت خطواتنا تسابق الأحداث ، ورصيد العمال المؤيدين
 للاضراب يزداد يوما بعد يوم .
 احمد عبدالله اعتقل . جعفر علي اعتقل ، ولكن ...
 هناك العشرات .. بل المئات امثال احمد عبدالله ، وجعفر
 علي .

وانت :

- الانسان قيمة لدى الآخرين .
 - الفرد في التنظيم .
 - التوازن اولا . ال .. ال ..
 وجاء اليوم الذي حملت فيه جميع مفاهيمك ،
 واختفيت . كان ذلك بعد ستة أشهر من زواجنا .
 وانت :

- زواجنا غلطة كبيرة اقترفناها !

أشبهه بضربة قاضية .

- ماذا ؟!

دار هذا الحوار العاصف بيننا اثر خلاف ابتدأ
بسيطا . لعله كان بسبب زيارة صديق ، أو شراء ثوب ،
أو ...

- زواجنا غلطة ...

لا اذكر . لكن الذي اذكره ان هذا الخلاف البسيط
كان اشبه بالشرارة التي أشعلت النار في الهشيم .

- ما هذا الكلام الذي تقوله ؟!

- نعم ... نحن تزوجنا لا عن حب .. وانما عن
ضرورة .

الحيرة :

- أنت جئتني مختارا بعد محاولة الهرب الى ايران !!

- هو اقتناع وقتي ضمن ظروف معينة .

الضياع :

- والآن ؟!

- مبررات ذلك الاقتناع زالت .

- كيف ؟! كيف ؟!

.....

وقتها دفنت وجهي في الوسادة ، وانطلقت معولة .
توقعت يدك على كتفي :

- أنا آسف يا حبيبتي! .. كلامي وُلِدَ غضب وانفعال!!

اما ان تجلس الى جانبي :

- فاطمة ! .. عزيزتي ! ..

وليس : « حبيبتى ! »
 - انت انسانة رائعة . جديرة بزوج افضل منى .
 انا ما خلقت لكي اعيش مقيدا . الزواج مسؤولية ، والتزام
 وانا ...
 لم ابك . لم اتكلم . لم اناقشك . وساد بيننا صمت
 امتد اسابيع .

★ ★ ★

رجل ينام في بيتي ، وانا امرأة ...
 كاظم عبيد ينام في بيتي ، وانا امرأة لي احساساتي .
 رغباتي . جسدي .
 - انت انسانة رائعة جديرة بزوج ...
 - ... انسانة رائعة جديرة بزوج ...
 - ... رائعة جديرة بزوج ...
 - ... جديرة بزوج ...
 - ... زوج ... زوج ... زوج ...
 ألا تفهم ؟! .. ألا تشعر ؟! .. ألا تدري ؟!
 واليوم . فجر اليوم . انا خلف الباب بانتظار كاظم
 عبيد . توقعته يخرج ليسرق بيت مدير المصنع ، وبالفعل
 خرج ، فسارعت لاغلاق الباب ، وطفقت انتظره ، وفي صدري
 عاصفة حقد ، وعندما عاد :
 - هل وفقت ؟!
 فيندهش :
 - لا افهم !!
 - هل وفقت في مشروعك ؟!
 دهشته تتضاعف :
 - لا افهم !!

وانا الغيبة التي لم تفهم ، وأصر على ان اصنفه مثلك .
وأكد « اصفق الباب في وجهه :

- سرقة بيت المدير ؟!

- كنت عند زوجتي .

أحسست بالخجل وبفاهتك . شوقه لزوجته دفعه
لارتكاب مغامرة محفوفة بالمخاطر .

وانت :

- الزواج مسؤولية والتزام ، وانا ما خلقت لكي

أعيش مقيدا ...

وفجأة تغيب .. تختفي . تتلاشى . تنعدم لو انك مت
لعرفت كيف انساك . أربع سنوات يا ظالم ! .. وأمل عودتك
يظل يشدني من قلبي ، وقلبي فجر اليوم انتفض .

- كنت عند زوجتي .

أنا . هو . الليل .

- كنت عند زوجتي .

وتفرعت في داخلي الرغبة الى الرجل . أي رجل .
ليس مهما أن تكون أنت . ولو انه قرأ عيني ...
لكنه أكثر نظافة منك . كما هي حال زوجة احمد
عبدالله ...

زوجة احمد عبدالله افضل مني ، واعود فأقول : لو
ان غيابك ليس باختيارك لوجدت كل القوة على ... لكنك
مثلها . في عيني انتظار ، وفي صدري تصميم .

★ ★ ★

- أين بيت أحمد عبدالله العامل في ...
فأجابني صبي صغير . أسمر . حافي القدمين :
- ذلك هو بيته .
التعب ينز من جميع مسامات جسدي . هو اليوم
الأول للاعتقال ، وبالرغم فهناك الفرحة .
- ذلك هو بيته .
وتتسابق أرجله الرفيعة .
- تعالي .
تابعت خطوه . ولح بابا من الصفيح . عينايا مشدودتان
الى فم الباب . ثم لفظه ظلام الباب .

- ها هي !
اصبعه الصغيرة تشير ناحيتي . ومن خلفه وقفت
امراة .

- نعم !
تساؤلها رافض .
هل اصدم ؟!
متوسطة الطول . سمراء بوجنتين ...
سوء التغذية !
واقتربت .
جميلة !!
عينها سوداوان ، واسعتان ، شعرها ...
نحيلة !.. صدرها لا يملأ الثوب !!
وانحدرت عيناى الى اسفل . طفل صغير يتشبث
بطرف ثوبها .

هو ابنهما .
عينها فى عيني :
- نعم !
تساؤلها الرافض يلفظني . كنت على مدى خطوة
منها . تتفحص ثيابي بفضول ، ولا تنتقل بعينيها الى
جسدها .

- نعم !
- اين احمد ؟
رد سريع جدا :
- ماذا تريدن منه ؟!
- لامر مهم !
- ما هو ؟!

- خيبة الأمل ازاء قسوتها .
 أنا لم أفعل شيئاً يفضيها .
 - أمر مهم !
 - ما هو هذا الأمر المهم ؟!
 الاندحار :
 - أنا زميلته في المصنع . جئت من أجل . . من أجل . .
 ترددي وانتظارها المستوفز .
 أنت لا تعرفين !!
 واحساس مقيت بالذل . عيناها صقر . وتصاعدت
 غصّة الى فمي :
 - جئت من أجل . . من أجل . . أنت لا تعرفين !
 - ادخلي !
 لا أصدق أذني . تعاطف مفاجيء يشوب صوتها .
 - أنا أعرف .
 ما كانت تبتسم ، لكن لهجتها تفاهم
 - الاضراب ؟ . . أليس كذلك ؟!
 - نعم . . نعم . . والأمر مهم جداً ! . . أريد رؤيته
 في الحال !!
 عيناها تغيّمان .
 - أخذه .
 فمي يفلت صرخة :
 - من ؟!
 - الشرطة .
 - متى ؟!
 - قبل ساعة .
 قتامة الصمت ، ولا جدوى قول :

– وصلت بعد فوات الأوان !

لا تعقب على كلامي بشيء . تمد يدها الى صدرها .
تخرج ورقة . تدفعها الي .

أخواننا العمال ...

نطالب .. ونطالب .. مطالبنا او ...

هي ذات الورقة التي في حقيبة يدي ، عدا اضافة
جديدة كتبت بالقلم الرصاص ، وبخط لا يكاد يقرأ :

ونطالب بالافراج عن عمالنا المعتقلين فوراً .

لم أسألها :

– من الذي أضاف الجملة الأخيرة ؟

عينها تصرخان بأنها من فعل .

نبأ اعتقال احمد عبدالله ، وجعفر علي ضاعف من
حافز العمال على الاضراب ، والورقة التي اضيف عليها
بالقلم الرصاص :

نطالب باطلاق سراح ...

- وصلت ايدي العمال . فطبت بصيغتها الجديدة ،
ووزعت بشكل موسع شمل - حتى - المدير .
- خذها غدا الى المدير .
- الزائر كان قد حملها اليه .
- ما هذه ؟!
- وجدتها ملقاة بين الآلات .

★ ★ ★

- كلهم خونة !.. مخربون .. فوضويون!.. يسعون
الى تحطيم اقتصادنا الوطني ، واخراج موقفي مع ..

كان منفعلا . غاضبا . يذرع الغرفة بخطوات سريعة ،
ودخان غليونه ...

- لا بد من وضع لنشاطاتهم التخريبية !

ثم يتوقف أمامي .

- هل رايت المنشور الأخير ؟!

- منشور !!

- انظري !

ويدفع الي بالورقة التي كنت قد أعطيتها للزائر .

- الفراش وجده على الأرض بين الآلات .

أستحضر حيرتي :

- وماذا نفعل ؟!

فيرد بحيرته :

- ماذا نفعل ؟! .. ماذا نفعل ؟!

يعود يذرع الغرفة .

- ماذا نفعل ؟! .. لا سبيل أمامنا غير اعتقال جميع

العمال !

ضحكة مباغطة كادت تنفلت من فمي .

- في هذه الحالة يتوقف عمل المصنع !!

يلتفت الي . ابتسامة منهزمة على فهمه .

- أعرف ... أعرف ... أنا لست جادا فيما قلت

.. لكنني محتار .. محتار يا فاطمة !! هم أشبه بشياطين

تتوالد على نفسها .. كنت أعتقد .. اعتقال احمد عبدالله

وجعفر علي سيضع حدا ..

★ ★ ★

- ان كانت حيرة المدير قد أفرحتني ..
- تم نقل أحمد عبدالله ، وجعفر علي الى معتقل مجهول .
- نزل علي نزول الصاعقة .
- ما عدنا نعرف من أخبارهما شيئا .
- وتذكرت كاظم عبيد .
- لن نعدم وسيلة للاتصال بأحمد ...
- هو معتقل ...
- وما عدت أجد القدرة على قول :
- كاظم عبيد ينتوي سرقة بيت المدير .. فما رأيكم ؟
- الفكرة – بحد ذاتها – أحسستها دبكة داخل راسي ،
- وتافهة كموضوع لسؤال .

★ ★ ★

- لهذا السبب ...
- ماذا تم بشأن موضوعي ؟
- لا شيء .
- لماذا ؟!
- لم أجد الجرأة على السؤال .
- يتطلع الي كاظم عبيد غير مصدق .
- أمس اتفقتنا ...
- فأقاطعه :
- الفكرة ليست منطقية !
- دهشته تتضاعف :
- كيف ؟!
- ستدخلنا حربا جانبية نحن في غنى عنها !
- لكن حربنا هي ...

- أرفع يدي في وجهه .
- ولعلكم أيضا .. تنقل كل من احمد عبدالله ،
وجعفر علي الى معتقل مجهول ، وانقطعت اخبارهما عنا !
الجزع في عينيه .
- متى ؟!
- البارحة .
- ستتم تصفيتهما جسديا !!
-
- تسود لحظات صمت يهمهم بعدها :
- مجرمون قنرون !
-
- ثم يتطلع الي .
- ألم أقل لك بأن حربنا ...
- هو ينوي طرح مشروعه للنقاش مجددا . قلت :
- ارفع فكرة سرقة بيت المدير من رأسك !
- ورفعتها أنا . لا وقت لدي للتفكير بها . أمامي مهمة
تستحوذ على كل اهتمامي . لا بد من ذهابي لبيت جعفر
علي . أمه تنتظر خبرا عنه .

كاظم عبيد
اليوم الخامس / السادس

انسانة غريبة !! شاذة الطباع !! ناقصة الثقافة!
تفتقر الى الفهم ! والنظرة الموضوعية !! والاّ .. علام
تغضب مني؟! .. ما ان أحدثها عن مشروعي ..

- الأفضل ترك هذا الموضوع !

كيف ... والحرب بيننا وبينهم قائمة؟! .. أليست
حربا طبقية طاحنة؟! ..

- مشروعك لن يضيف شيئا .

ما أدراها بالنتائج؟! .. علام لا تقول :

- سيزداد فزع المدير . ستشل قدرته على التفكير
السليم . الضربات تأتيه من كل جانب؟! ..
لو انها تمكنت . فكرت . ثورة كوبا . المنظمات اليسارية
في امريكا اللاتينية .. الخطف . الفدية . مهاجمة المصارف .
مشروعي فقط هو الذي لن يضيف ..
- سيخرج الزاير !

من هو الزاير؟! .. ولماذا لا يخرج؟! .. علام لا يدفع
الثلث كما ادفع انا .. وكما دفع احمد عبدالله وجعفر علي،
والمئات .. الآلاف؟! هل سيضيره حمل جزء من
المسؤولية؟! ..

— تم نقل .. الى .. مجهول ..

الم تتوقع مثل هذا؟! .. اتظن بأننا نناضل ضمن
ظروف ديمقراطية؟! عدونا لا يتورع عن شيء ، ونحن نتردد
أمام مشروع سرقة من سرقونا !! ..

هي غبية! .. جبانة! .. حجتها في البداية :

— لا بد من استشارة احمد عبدالله .

وافقتها . رضيت . انتظرت . لم استعن بحبل غسيل
بيتنا ، لانجاح جولة البارحة .

كل هذا من أجل استشارة احمد عبدالله ، والآن أين
احمد عبدالله؟! ..

لماذا لا اعطى فرصة الأخذ بثأر احمد عبدالله؟! ..
كيف سمحت لنفسها باتخاذ مثل هذا القرار المصري؟! ..

— ... ترك .. الموضوع ..

(الساعة الواحدة بعد منتصف الليل)

الظلام . الهدوء . وفتح كاظم عبيد عينيه على
سعتهما . لم ير السقف ولا المروحة .

الوقت حان !

تملكه احساس منعش بحرية مباغتة .

الى العمل .

سحابات فرح طفولي تزدهم في صدره .

هي تمام .

أستوى جالسا .

- مشروحك فن يضيف شيئا .

ماذا تظن بنفسها ؟! .. وكيف عرفت بان مشروعي لن

يضيف ؟! مسكينة ! .. امرأة ! .. مجرد امرأة مهجورة

تجد في العمل السياسي متنفسا لكتبها الجنسي .

مد يده تحت كرسي قريب . وقعت على حذاء مطاوي .

- استعناد كامل للعمل .

وضع قدمه اليسرى في الحذاء .
 الأفضل لها أن تنام وتترك العمل للرجال .
 ثم اليمنى .
 - لا بد من استشارة احمد عبدالله .
 اين احمد عبدالله؟! هو بحاجة لمن يدافع عنه . ينتزع
 حقه من برائن المفتصين !
 تحسس طريقه الى باب الغرفة .
 متى تفهم بان حربنا هي حرب طبقية لا هواة فيها . .
 نحن بأمس الحاجة لاستخدام جميع انواع أسلحتنا؟!
 خرج الى بهو المنزل .
 من الأفضل لي ولها أن تظل نائمة! . . مسكينة . .
 قلبها رقيق . تخاف على الزاير . تعطف على المدير . لها
 كل الحق ما دامت سكرتيرته الخاصة .
 مع نفسها تتساءل :
 - ما الداعي لسرقة بيت المدير؟!
 وهي أعجز من أن تجد الجواب .
 برأيها :
 - لا تدخلنا حربا جانبية . . .
 وصل مدخل السلم . وتلمس طريقه الى اعلى .
 ساستعين بحبل غسيلها . لن أمر ثانية بفشل البارحة .
 حبلا متين وجيد . بعد ساعتين - على الأكثر - ساعيد
 الحبل الى مكانه . لا بد أن أعود بحصيلة محترمة مع . .
 مع مسدس .
 مد كفه مفتوحة الأصابع . الحبل على لحمه كفه .
 أطبق أصابعه .
 أهلا !
 أعمل أصابعه في تخليص الحبل من ضابطيه .

عائلة احمد عبدالله . عائلة جعفر علي . عائلة كاظم
بعيد ... ثلاث عوائل فقيرة بامس الحاجة الى مال . ظروف
الاعتقال من جهة ، وهربي من جهة اخرى . ومن يدري ...
لعل مشروع الاضراب يمنى بالفشل ...

رفع قميصه الى اعلى . ثبت طرفه تحت ذقنه ، وبدأ
يطوي الحبل على بطنه .

مشروعى انا لن يمنى بالفشل . لا بد من توفير المال
لضمان صمودنا الى النهاية .

اخذ طريق النزول .

هربي بحد ذاته عملية ناجحة جدا . وجودي خارج
ظروف الاعتقال سيساعدنا على الاستمرار بالصمود .
سيكون بيت المدير هو الهدف الأول . جميع الخبرات من
اجل الاضراب .

مزلاج الباب . أصابع مرنة مدربة . الباب . الطريق .
ايام زمان !

وانطلق مسرعا ، معتمدا ظلال الجدران ..

اية قوة لن تستطيع منعي عن ...

الطرقات خالية تماما . الصمت يكاد يكون شاملا ، عدا
نباح كلاب وصفارات حرس تأتي اليه بصدى بعيد .

متى تفهم بان حربنا ...

- الاضرار اكثر من ...

سأنفذ ، وسنرى !

قفز السور بخفة ، ثم جلس القرفصاء داخل الحديقة .
الصمت . الهدوء الشامل . البيت الذي يقبع بين الاشجار
وسط ظلام دامس .

رئيس السجانيين .. أهو نائم ؟

تقدم الى امام بحذر . اتكأ بكتفه على جذع شجرة
محاذية لجدار المنزل . رفع قميصه الى أعلى ، وبدأ بالجل .

سنرى من الأقوى .. أنا أم رئيس السجانيين ؟

أعمل يديه وقدميه في جذع الشجرة . تسلقها .

لكن احمد عبدالله قال :

— الأفضل أن لا تفتخر بممارستك للسرقة !

— أنا ... ضباط الشرطة فقط .

— ... الثوري الحقيقي لا يمارس عمليات ارامية .

ثم قال :

— أهلا بك وبكل العمال الطيبين .

- ما كنت حزيبا عندما قدمت براءة .. فهل ستقبلوني في صفوفكم ؟

يضع يده على كتفي :

- أنا مجرد عامل .. مثلك .

لهجته ليست رفضا ، هي أشبه بتشجيع .

- الأفضل ألا تفتخر ...

والآن .. ما هو رأيك ازاء عمليتي هذه ؟!

ثبتت قدميه بين فرعين . استوى واقفا عقد طرف
الحبل على شكل حلقة . حدد بصره ناحية مدخنة المطبخ .
هذه العملية ستضعهم أمام امر واقع . ستجبرهم
على قبولي عضوا في صفوفهم .

رفع يده الى ما وراء كتفه ، وباليدين الأخرى أمسك
الطرف الثاني . طرف الحبل « الحلقة » يطوق المدخنة .
« يلبس بها » .

يشد الحبل . يتأكد من قوة المدخنة . يطبق كفيه
بقوة على الحبل . يقفز . الثقل . الجسد الذي يمتد
ملتصقا بالجدار .

لو كان الحبل من الليف !

يستعين بكفيه . يتسلق .

★ ★ ★

على السطح ، وأرهف أذنيه . لا صوت . لا حركة .
أمسك طرف الحبل ، وعاد يطويه على بطنه ، ثم بحث بعينه
عن مدخل السلم .
عسى أن يكون رئيس السجائين نائما ! .. مستغرقا ..

وانحدر بهدوء على السلم . الظلام في الاسفل اشد
نحس الجدار . مفتاح النور .

احذر !!

مشى الى امام . باب غرفة . المقبض بهدوء . صرير
خافت . انفراج قليل . نور ضعيف يأتي من نافذة الغرفة .

مخزن .

لم يفلق الباب . عاد يتحسس طريقه . باب آحر .
مقبض ناعم . بهدوء . صرير خافت . انفراج قليل . نور
ضعيف يأتي من نافذة الغرفة .

الآن .

سرير وثير يتوسط الغرفة . جسدان ..

حتى وهو نائم لا براءة على وجهه !

يعقد حاجبيه .

هذه العملية ستمحي عار البراءة .

جسد المدير يمتد على السرير . يستحوذ على السرير .

يبدو أضخم مما هو في المصنع !

وفي الطرف الثاني ترقد الأخرى .

النعومة . اللذة .

يفتح الباب أكثر .

محفوظ في كل شيء !

يخطو الى الداخل .

كيف تستطيع احتمال ثقل جسده ؟!

يقترب . يقف في منتصف الغرفة .

اين رئيس السجانين الآن ؟!

دار بعينه . الاثاث . الأدراج . الجدران . المشجب .

الملابس .

اقترب من المشجب . أصابعه - مباشرة - في الجيب الداخلي

« للجاكete » .

المحفظة .

دسها في جيبه .
الأشياء الأخرى .
اقترب من منضدة الزينة . الزجاجات . صندوق
صغير .

حلي المدام .
ثم اتجه ناحية الباب ، وقبل أن يغادر القى نظيرة .
المدير لا يزال يسيح على السرير .
هو غير جدير بهذه الزوجة اللذيذة !
لا يفلق الباب .
بامكاني خنق انفاسه . قتله . . . ماذا لو انهم - بعد
هذه العملية - أمروني بممارسة الاغتيال الى جانب السرقة؟!
يقف .

المسدس !
يرهف أذنيه .
رئيس السجنين !
يمشي الى أمام .
أين يختبئ؟!
أحد الأبواب على اليمين . المقبض . انفراج صغير .
غرفة الأكل .

أذناه تلتقطان صوت شخير يأتيه من ناحية الدهليز .
اهلا .. اهلا ..

يتلمس طريقه .. الشخير يرشده .
معا .. أنا وانت فقط ...
الشخير يقترب . يقترب .

ها هو !
الشخير تحته . قدمه تدوس طرف فراش على
الأرض . يجلس بهدوء . يمد أصابعه تحت طرف الوسادة
الشخير ...

أين وضعه ؟!

الى ما تحت طرف الفراش .

عليه اللعنة !!

زفرة يأس كادت تفلت من صدره . أعمل مخيلته .

لعله وضع المسدس في أحد جيوبه !

رؤوس أصابعه تتحسس جسد الزاير . الشخير

يضطرب .

احذر !!

ينتظر لثوان . الزاير يتحرك . ينقلب . كاظم عبيد

يأخذ وضع الاستعداد .

لا بد من مفاجاته بضربة قاضية !

الشخير يعود منتظما .

هذا أفضل .

رؤوس أصابعه ثانية .

لن أعود بدون المسدس !

شيء صلب يصدم أصابعه .

اخيرا !!

★ ★ ★

المسدس في كفه .

الخروج من الباب أسرع .

صرير متقطع . شخير منتظم . نور ضعيف يغمر

جسد الزاير .

الخطأ . النجاح .

كاظم عبيد يبتسم ، ولا يفلق الباب .

★ ★ ★

اغصان الأشجار ساكنة تماما ، والسور ...

مسدس .. مجوهرات .. محفظة ...

فرحة انتصار ، وصوت صفارة يتردد في البعيد

لا زال الحظ يخدمني !

همس كاظم عبید لنفسه .

هي لم تشعر بخروحي .

كان الباب - كما تركه - مواربا . دخل ، وأغلقه من خلفه بهدوء ، وبينما هو بصدد الاستقرار في فراشه . .

الجبيل !!

ثم سارع بالصعود الى سطح المنزل .

لن ادعها تعرف . لو عرفت - الآن - لفضبت .

بدأ يحكم رباط الجبل .

هي تخشى احراج رئيس السجانيين، وازعاج ال . . .

سيد المدير .

أخذ طريقه في النزول .

غدا صباحا سأقول لها :

— أرجو ان توفر لي فرصة الاتصال بأحد المسؤولين
من العمال ...

هي لن تقول :

— ماذا ؟!

لأن لهجتي ستكون رصينة تشعرها بالأهمية والخطورة
الى جانب الضرورة ..

يستلقي على الفراش .

ومن أفواه العمال في المصنع ستسمع اخبار العملية
مزكاة بالتأييد والتبريك .



بدا نور الفجر ينفذ الى الغرفة عبر النافذة المظلة على
الشارع عندما اطبق كاظم عبيد جفنيه ، هو لم يستطع النوم
بعد عودته مباشرة .

فرحة العمال . العمليات القادمة . الحرب الطبقة .
العضوية . الأوامر . الطاعة . التنفيذ . الثورة .

افكار كثيرة ملأت ذهنه ، وتسببت في ارقه .

الصحراء تمتد مترامية . الشمس لافحة . العرق
يتضرب من جميع اجزاء جسده .

— متى نصل الكويت ؟!

— بعد خمس أو ست ساعات .

سأموت أجهدا وعطشا قبل وصولنا !.. وهؤلاء
الايروانيون يلوذون بصمت قاتل .

اقترب من اخدهم :

— هل معك ماء ؟

—

الايرواني لا يسمع . يظل يتابع المشي ، وعيناه معلقتان
بالأفق البعيد .

— خلف تلك التلال البعيدة يقع « المطلاع »

الجفاف في فمي . لساني أشبه بقطعة خشب .
سأموت !.. حتما سأموت قبل وصولنا الكويت . .

★ ★ ★

الاحساس بالقهر . الحزن .
 وشيء أشبه بنقطة ضوء بعيد تلتمع داخل رأسه
 أنا لست مسافرا ... أنا ...
 فرحة صغيرة .
 أنا أحلم .
 الوعي . يفتح عينيه . هو لا يزال ينام في بيت فاطمة .
 بقعة كبيرة من الشمس تغمر رأسه وصدره .
 الشمس من النافذة !
 الجفاف الحاد في فمه .
 أنا بحاجة لقدح ماء بارد !
 الوعي يجتاحه بأقوى .
 ترى ... كم الساعة الآن ؟!
 استوى جالسا .
 هي خرجت ! .. حتما ذهبت الى المصنع ! .. النوم
 غلبني .. كنت بصدد ..
 - وفري لي فرصة الاتصال باحد المسؤولين من
 العمال .
 اللعنة على نفسه داخل رأسه .
 لا بد من الانتظار حتى الفد ! .. الصبر حتى الفد ..
 من أين لي بالطاقة على الانتظار ؟!

دار المفتاح في قفل الباب ، ودخلت فاطمة ميسرة .

ماذا حدث ؟!

عادتها في الأيام الفائتة ، تدخل ، تبسم .

- مساء الخير .

واحيانا تضيف :

- كيف قضيت هذا الصباح ؟

أما الآن .. فهي هي تجتاح الغرفة . تقف أمامه .

يبادرها :

- مساء الخير .

لكنها لا ترد . كانت تقف أمامه مباشرة .

ما بها ؟!

غضب عنيف وحزن شديد يتناوبان وجهها .

لم ارها بمثل هذا الانفعال من قبل !

يستجمع لسانه :

- هل هناك اعتقالات جديدة ؟!

.....

- ماذا حدث يا فاطمة ؟!

زاوية فمها ترسم ابتسامة ساخرة مليئة بالاحتقار .

- الا تدري ؟! .. انت الذي لا يدري ؟!

أحس بنفسه يدري ، ولم يعد يملك القدرة على الكلام .

- انت غبي ؟! .. أم تظني غيبة الى هذا الحد ؟!

هي تشتتني !

الفهر . الرفض . الفرع .

هي لن تتورع عن ...

والتصق بباطن الكرسي .

- لماذا تخدعني ؟!

.....

- في بيتي وتخدعني ؟! .. ما الذي جنيته من وراء

مشروعك السخيف ؟! ..

... ولماذا الزاير بالذات ؟!

كان عاجزا عن التحديق في عينيها .

- لماذا ؟! .. لماذا ؟!

وتبدأ حدة انفعالها تخف . تتراجع الى وراء . تصطدم

بكرسي . تتهالك . تدفن وجهها في كفيها . وباحساس

المظلوم وانهيائه تقول :

- لماذا يا كاظم ؟! .. أهكذا اتفقنا ؟!

أراد القول :

- لم نتفق على شيء .

لكنه صمت . لو فتح فمه لانهارت باكية .

- ما الفرق بينك وبين كريم البصري ؟!

- ٠٠٠٠

- هل دار بذهنك انه افضل منك؟! .. هو على الأقل يعاني فشله ..!
.. قضى ليلة البارحة موقوفا بتهمة السكر .. وانت أين قضيتها?!

ترفع كفيها عن وجهها . يحاول الهرب بعينه منها .
- لماذا السرقة بالذات؟! .. الزاير بالذات?!

- ٠٠٠٠

- أتدري بأن رجال الأمن ألقوا القبض عليه بتهمة التواطؤ مع السارق?!

- ٠٠٠٠

- هل يدور في ذهنك ان هذا الرجل الذي هو بسن أبيبك يتعرض الآن للضرب?!

تعض على شففتها .

- والمصيبة تكمن في ... الزاير يعرف السارق !
تسود ثواني صمت مشحون بالتوتر . ينكس رأسه .
يتمتم :

- كنت أظن ...

فتقاطعه :

- كنت تظن .. محفظة المدير تكفي العمال شر العوز،
والحلي تزين صدور نسائهم ، والمسدس للكفاح المسلح ..
اليس كذلك?!

- انا لم اسرق المسدس .

ابتسامة الاحتقار تعود الى زاوية فمها :

وتجرؤ على الكذب!! .. هل يتهم الزاير نفسه?!

.. من سيدفع ثمن الضرب الذي يتعرض اليه الآن ..

المدير ليس غبيا كغيره . صباح اليوم قال لي : « السارق

متواطئ مع الزاير .. والا كيف عرف بوجود المسدس
فاتجه اليه مباشرة ، وسرقه » .

كاظم عبيد يهمهم :

— ساذهب الى الشرطة واسلم نفسي .

ترفع حاجبيها دهشة .

— يا للنبيل ! .. يا للتضحية ! .. وماذا ستقول

لهم ؟! .. انا كاظم عبيد الهارب من .. اقدمت على سرقة

.. بعد معرفتي لـ ...

تنهض . تقترب منه :

— أشد ما آلمني انك خدعتني !

ثم تشيح بوجهها عنه :

— لكنك مجرد لص ...

هل يستطيع البقاء في بيتها دقيقة أخرى؟!
 ساغادر بيتها الآن معرضا نفسي للاعتقال!
 أحساسه بأنه مظلوم ، ومظلوم جدا يغطي على جميع
 انفعالاته الأخرى .

هي لم تسمح لي بتوضيح وجهة نظري !!
 اتجه نحو الفراش .
 لا فائدة ! .. هم لا يؤمنون بالعنف الثوري !!
 رفع الوسادة . المحفظة ، وصندوق الحلي .
 لتعيدهم الى مديرها .
 وضعهما على الكرسي .

اما هذا
 ثم اخفى المسدس في طيات ثيابه .
 - ما الفرق بينك وبين كريم البصري؟!
 - سنحتاج الى جمع بعض التبرعات بعد ...
 - اياك ان تقدم على اية خطوة دون ...

- اياك ان تقدم على اية خطوة قبل ...
- من الذي طلب اليك ...
- الاضرار اكثر ...
- لا فائدة ! ... هم لا يؤمنون بالعنف الثوري !!
- تلفت حواليه . حذاء المطاط .
- الكويت احسن . لن اعدم وسيلة للاتصال باحد
المهرين ...
- لن نعدم وسيلة للاتصال باحمد .
- لكنها عدمت . وان استطعت الافلات من ايدي
الشرطة ، فسأذهب الى الكويت .
- كان في طريقه للمغادرة عندما حانت منه التفاتة ناحية
المحفظة .
- عاد اليها . انتزع منها ورقتين .
- عشرون دينارا . مصاريف سفر .

فاطمة
اليوم السادس

الاحداث تسابق نفسها . التطورات لا تحدث في
المصنع والشارع فقط ... بل احسها تتنامى في داخلي .

كل شيء يسير في طريقه الحثيث الى الامل .
انقطاع اخبار احمد عبدالله وجعفر علي لم يشبط من
عزيمة العمال ، بل انه وقود جديد يغذي ...

والمدير شغلني صباح اليوم ...
**- كوني على اتصال دائم بمديرية الامن .. اريد
معرفة تطورات اعتراف الزاير أولا بأول !**
اعتقال الزاير احزنني ، لكنني استمد الابتسامة من
اصرار العمال ، وفزع المدير .
كاظم عبيد غادر الى حيث لا ادري بعدما ترك
المحفظة والحلي .

وكريم البصري جاءني بالأمس مخمورا ، لكن ابنك -
كعادته - اخضعه لامتحان قاس . تقيأ على الباب ...
صباح اليوم عرفت من العمال :

- قضى ليلة البارحة معتقلا بتهمة السكر والعريضة في
الطرق .

وابنك .. لست ادري كيف افلت فمه :

- ماما ..

كانت طبيعية جدا . تساءلت ساعتها :

((- هل نسي؟! .. ام اني بالنسبة اليه صرت ..))

- متى نذهب لزيارة اختي؟!

لقد استطاع هذا الشيطان .. ابنك .. ان يجسدني
امومة راعشة ضمن عينيه الحلوتين .

ماما ...

وعندما ذهبت امس لمقابلة ام جعفر علي :

امه تنتظر خبرا عنه .

ترابطت الكلمات في ذهني وانفطرت عشرات المرآت .

كيف اخبرها؟!

لم تدم حيرتي .

- ليست المرة الاولى يا ابنتي .

صوتها ليس حزنا مستسلما . هو حزن ينتظر .

وكذلك الحال مع زوجة احمد عبدالله ... لكن الذي

يعاندني هو احساسني بانني اكاد اكون تافهة بالنسبة اليها .

لست ادري علام اظل اصر مع نفسي على اجراء مقارنة

بيني وبينها؟!

اليوم .. لم اكابد مشقة العثور على المنزل . رفعت

يدي كي اطرق باب الصفيح ، فاذا بها فيه .

- اهلا .. تفضلي !

صوتها محبة ، ورفقة حلوة . طفقت اصطاد الكلمات:

- الشرطة .. السلطة .. مكان الاعتقال .. النقل ..

الاخبار ..

وكانت تنظر الي بمشاركة ، وكأنني انا المصابة ، لتقول
اخيرا :

- ادري .

ثم سارعت بالالتفات الى ابنها .

- ابتعد يا ولد !

تنبهت لوجود الطفل بين ركبتي كان باربع سنين .

لو انك ابقيت على طفلنا !!

مددت يدي اليه ، وصوت أمه محذرا :

- انتبهي يا فاطمة ! .. ثيابه قدرة !

وعلى صدري كان الطفل يخفق .

★ ★ ★

الطفل نسخة حلوة ، مصغرة عن ابيه . لكنك اجهضت
طفلنا !!

الدمعة في عيني ، وقلت لك :

- دعه لي ! .. انا احبه !

كان ذلك بعد عودتك من قضية الهرب الى ايران
ثلاثة شهور ، وكنا في الايام الاولى لزواجنا .

- دعه لي ! .. انا احبه !!

تبسم ، وكأنك لا تشاركني حزني .

- غريب امر هذا الجنين ! .. كيف تخلق من مرة
واحدة؟! .. كنا واقفين ، ورغم هذا تخلق !!

تضحك ، وتستطرد :

- سيصبح سائق قطار .. لو عاش !

ضحكتك تمتد اكثر . لا اشاركك . تصمت . اهتمام
صغير على وجهك ، ثم تقول بلهجة أقرب الى اللامبالاة :

- المهم ... كيف نتخلص منه !?

تلك هي القضية الوحيدة التي تشغلك .
- الطفل بدأ ينمو في رحمي ! .. هو انت !!
تلفت الي . صوتك يرق :
- والناس !! .. كلام الناس ! .. ماذا سيقولون لو
جاء الطفل بعد ستة اشهر من زواجنا ؟!
فاتشبت :

- دعهم يقولون ما يقولون .. هو طفلي !!
تمد يدك الى وجهي . تتوجه كلك الي . تمسك ذقني
بين اصابعك :

- فاطمة ! .. حبيبتي ! .. يهمني جدا احترام الناس
لك .. الانسان قيمة لدى الاخرين .
عيناى في عينيك ، واتوسلك :
- لكننا زوجان !!
حاجباك ينعقدان :

- والطفل الذي تخلق قبل زواجنا بثلاثة اشهر ؟!
- لا يهم .
- واهلك ؟!
- الى الجحيم .
- والناس ؟!
- لا شأن لهم بنا .
- وانا ؟!
فأصطدم بمرآة حجرية .
- انت ماذا ؟!

- سيقولون : « تزوجها لا لأنه يحبها ... بل لأنه
خدعها »
- خدعها ؟!!

- « ضاجعها . جلت منه . فتزوجها اتقاء
الفضيحة . »

- ولكن ...
يخنقني صوتي ، فتأخذني الى صدرك .

★ ★ ★

صدرك .. صدرك .. واين هو صدرك ؟! .. اربع
سنوات يا ظالم ، وانت لا تدري ، ولا تسأل .
بعد اختفائك توجهت بسؤالي لكل من يعرفك
البعض قال :

- لعله هاجر الى كندا .
واخرون :

- الى استراليا .
واهلك :

- يقال .. « في قبرص » .

وانت :
في العدم .

الليل عبور . الناس عبور . الشوق عبور . وانت
الضفاف .

هذا ما كان طيلة السنوات الاربع . سنوات العمر ..
غيابك .

اما الآن فهناك ضفاف اخرى . ضفاف مضيئة
تجذبني اليها . ليس كما تنجذب الفراشة الى اللهب ...
انت .

وكنت تقول :

- الفرد في المجموع ...
- التربية في التنظيم ...
- العمال هم العماد الاساسي ...
- الوجود في العمل ...
- كلمات كبيرة . لكنها - معك - مجرد كلمات . كنت
تجيد التعامل مع الكتب فقط .

هذه الكلمات بحاجة الى عمل ، وعندما غادرتني ، هجرتني ...

تساءلت وسط الضياع واليأس :

– ما العمل !!؟

وعينا ابنك تتابعان هلمي .

– اين البابا ؟!

–

– متى يعود ؟

–

بحثت عن السبب . بحثت عن المبرر . لم أجد السبب ولا المبرر .

ماذا لو انك عدت الآن ؟! .. اظني سأستقبلك
قائلة :

– كيف حالك ؟ .. ابنك كبير ، لكنه سيرفضك ايضا .

ebooks4arabs.blogspot.com

اليوم السابع

المكان :

الأشخاص :

الحالة : الضفاف الأخرى

• • • • •

للمؤلف

مجموعة قصص	البقعة الداكنة
رواية	كانت السماء زرقاء
رواية	المستنقعات الضوئية
رواية	الحبل
رواية	الضفاف الأخرى
رواية	ملف الحادثة ٦٧

تحت الطبع

قصص	الاقفاص واللغة المشتركة
-----	-------------------------

الفهرس

٥	مهداء
٧	كلمة
١١	فاطمة .. اليوم الأول
٥٧	كاظم عبيد - اليوم الأول
٩٩	كريم البصري - اليوم الأول
١٤٥	الزائر - اليوم الأول
١٥٧	الزائر - اليوم الثالث
١٧٧	الزائر - اليوم الرابع
١٩٣	كاظم عبيد - اليوم الرابع - الخامس
٢١٥	كريم البصري - اليوم الخامس
٢٣٩	فاطمة - اليوم الخامس
٢٥٣	كاظم عبيد - اليوم الخامس - السادس
٢٧٥	فاطمة - اليوم السادس
٢٨٤	اليوم السابع

